الفرق المأجورة في جنوب فرنسا وسبل مواجهتها (١٣٦٠-١٣٧٠م)

دكتور
محمد دسوقي محمد حسن
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الأداب - جامعة الفيوم

كان القرن الرابع عشر الميلادي في الغرب الأوروبي مرآة حقيقية لأفكار سياسية، واقتصادية، ودينية واجتماعية، فعلى المستوى السياسي أخذ الصراع يشتد بين السلطة الدينية وأعدائها في شبه الجزيرة الإيطالية، بعدما نجحت تلك السلطة في إنهاء صراعها مع أسرة الهونشتاوفن Hohenstaufen الألمانية، وكذلك دخول مملكتي فرنسا وإنجلترا حربًا طويلة الأمد، أسهم في إعطائها الصفة الزمنية حادثان هما: عدم استقرار الأحلاف باديءٍ ذي بدء، وتشكيل الفرق العسكرية العابرة حسب المصالح، والتي تنحل عندما يظهر حليف اليوم أقوى من حليف الأمس، فنتج عنها عدم الشعور بوجود الأمن العام الذى كان يسود أوروبا، وزاد من الأمر وجود جيوش من المأجورين Mercenaries الذين يؤجرون خدماتهم لمن يدفع، وهي عملية ممتدة عبر قرون عديدة في الغرب الأوروبي، غير أنه في القرن الرابع عشر الميلادي اتخذت منحى جديد، إذ أصبح هؤلاء المأجورون مشكلة كبيرة للسلطات التي استأجرتهم؛ لأنهم كانوا على نحو متزايد في مجموعات أو فرق مستقلة يقودهم قادة يُشهد لهم بالكفاءة الكبيرة والشهرة.

وعليه رأي الباحث أن يتناول التهديد الذي شكلته تلك الفئة لواحدة من الكيانات السياسية الكبيرة في الغرب الأوروبي ألا وهي مملكة فرنسا، تلك المملكة التي كانت في غضون ذلك تخوض حرباً كبرى مع مملكة إنجلترا وتحتضن القصر البابوي في الفترة محل الدراسة؛ لذا تطلب الأمر البحث في سبل مواجهة السلطتين العلمانية والدينية لتلك الفئة، فجاء عنوان البحث "**الفرق المأجورة في جنوب فرنسا وسبل مواجهتها ١٣٦٠-١٣٧٠م**". فعلى الرغم من وجود بعض المؤرخين الذين اهتموا بالفرق المأجورة أمثال نورمان هوسلي N.Housley[١]، وكينث فولر K.Fowler[٢]، وجـون فرانس J.France[٣]، ميشيل ماليهM. Mallett[٤]، إلا أن الجميع لم يتطرقوا إلى موضوع البحث ويسلطوا الضوء عليه، فجاءت إشاراتهم عابرة لإيضاح الأمر للقارئِ بأن لهؤلاء المأجورين دوراً في مملكة فرنسا، أما عن التحديد الزمني، فيبدأ بعام ١٣٦٠ وهو العام الذي عقدت فيه معاهدة بريتني Bretagne بين إنجلترا وفرنسا، فقاما الطرفان بحل الفرق العسكرية المأجورة التي رفضت العودة إلى أوطانها، وظلوا نشطين في الغرب الأوروبي حتى استئناف الحرب بين إنجلترا وفرنسا في أواخر عام ١٣٦٩م، فجاءت نهاية البحث عام ١٣٧٠م؛ ولأن بعد هذا التاريخ، العديد من القادة الذين أسسوا هذه الفرق كانوا قد تقاعدوا أو ماتوا، واندمج عدد من هذه الجيوش داخل الجيوش الملكية في إنجلترا أو فرنسا.

لم تكن المعلومات عن الفرق المأجورة Mercenaries Companies تلقائية؛ لذا احتاجت إلى بحث وتنقيب لمعرفة الأصول والتكوين، وكيفية القتال، وكيف تحولوا من جنود في صفوف الجيوش الملكية إلى فرق قصدت التخريب والتدمير والإبادة، فتركت انطباعًا سيئًا لدى المجتمع الفرنسي في هذا العصر، مما جعلهم ظاهرة غريبة تصادف وجودها في الغرب الأوروبي في وقت واحد في الريف والمدن.

وعليه يتضح أن الفرق المأجورة كانوا مقاتلين متخصصين، ولائهم للأجر المدفوع لا لمؤسسة سلطوية، فهم جنود طوال الوقت، الحرب حياتهم(٥)، ففي الحرب يصبح التركيز أكثر على ملء القلاع بالجنود المأجورة، وبطرق أخرى تعتمد على طبيعة الأشخاص المأجورين، ليؤكد على أن للمال ضرورة ليس في أوقات الحرب فحسبإ ، ولكن أوقات السلام أيضًا(٦)، فهم من جنسيات متعددة إيطاليين، ألمان، هنغاريين، أسبان، يونانيين، ألبانيين، سويسريين، إنجليز، اسكتلنديين، وفرنسيين(٧)، يسجلون تحت قيادة أحد القادة المغامرين ليشكلوا المثال الأبرز للقاعدة القائلة: "الجيوش التي تخدم مدفوعة الأجر"؛ فأصبحوا بذلك عنصراً متكاملاً في تشكيلات الجيوش الملكية في إنجلترا وفرنسا في القرن الرابع عشر الميلادي(٨)، ويرى أحد المؤرخين أن فاعلية الجماعات المأجورة كانت كونها مهنة لهم، فامتلكوا مهارة تنظيمية جاءت نتيجة للانضباط الصارم والكفاءة العسكرية، فصنعت لهم التفوق في المعارك العسكرية عندما يقارنون بالفرسان الثقيلة من الطبقة الأرستقراطية الذين انتشروا بشكل عام فرادى، ولم يعرفوا شيئًا عن القواعد والتقنيات والتكتيك العسكري للحروب، فضلاً عن ذلك قدم قادة هذه الفرق كل العروض الملائمة لإمكانية التوظيف مع امتلاك الأسلحة والتجهيزات والخدمات وإعطاء المرتب الذي يعين على المعيشة(٩)

ولقد امتلكت هذه الفرق سمعة سيئة وسط الشعب الفرنسي(١٠)، فقد عرفوا بالناهبون Pillagers(١١) وبالقادمون أخيرًا "The late Comers"(١٢)، وقيل عنهم أنهم أبناء الخطيئة(١٣)، وشيطان بداخل شخص(١٤)، ولقد أطلق عليهم أسماء عدة منها الجماعات الكبرى Grand Company، وأعداء الجميع، وكانت أهدافهم تتمثل في تدمير المجتمع والقضاء على الإيمان المسيحي، ويعاملون جميع المسيحيين كأعداء لدودين على حد تعبير البابا أوربان الخامس Urban V (١٣٦٣م-١٣٧٠م)(١٥)، ووفقًا لوصف البابا كانت سياستهم تنصب على الهجوم بوحشية لابتزاز المال المتعطشين إليه بلا هوادة، فمن أجله يحرقون الغلال ويقطعون

الكروم ويهدمون المنازل، فيغنمون منها المواشي وغيرها من الأملاك، ويجبرون الأهالي على هجر قراهم ومزارعهم بأفعالهم الإرهابية، ويخربون القلاع والكنائس والأديرة بعد السطو عليها، وإذا ما واجههم الأهالي يقبضون عليهم ويكبلون الرجال منهم ويعذبونهم حتى الموت بوحشية بشعة، ويقتلون الشيوخ والشباب الصغار ويغتصبون العذارى، أما النساء المتزوجات فيصطحبونهم معهم لاستغلالهم بلا رحمة بعد الاعتداء عليهم في حمل الأسلحة كما لو كانوا من الذكور المأجورين، وهو ما يخالف طبيعة المرأة(١٦)، فهم لا يأبهون بأحد سواء لجنسه أو لسنه، معتقدين بأنه لايوجد من يستطيع التصدي لجرائمهم وجرأتهم ووحشيتهم، فيصفون أنفسهم بأنهم سفاكي دماء ووحوش كاسرة؛ لذا فهم يذيقون الشعوب أصنافًا من الآلام المختلفة تعبر عن جبروتهم وتنكيلهم وما يحيق في صدورهم من كرهٍ(١٧)؛ فضلاً عن هذا وذاك؛ يفرضون الإتاوات على القرى، وأصحاب الأملاك وبعض سكان المدن، في مقابل عدم المساس بهم لفترة زمنية معلومة(١٨)؛ مما أثقل كاهل العامة والنبلاء على حدٍ سواء.

أما عن حياتهم اليومية والشخصية؛ فنحن نعرف عنها القليل، فيبدو أنهم كانوا رجالاً مغامرين عاشوا في مناطق مضطربة مليئة بالأخطار، دفعتهم آمالهم في الكسب والغنيمة للإلتحاق بالفرق المأجورة، تلك المهنة المعقدة للغاية في البناء، والتى مثلت جزءاً بسيطاً فى معظم الجيوش الأوروبية تراوح مابين الـ $\frac{1}{4}$ أو $\frac{1}{3}$ الجيش فى الفترة ما بين (١٣٤٨-١٥٠٠م)(١٩)، غير أن الحرب كانت حياتهم، فكانوا موهوبين في استخدام أسلوب "المباغتة" بالهجوم فجرًا، فكان ذلك الأسلوب مؤثرًا أكثر من الحصار، وكانوا لا يأخذون معهم المعدات الثقيلة بل طوروا تدريباتهم العسكرية عُوضًا عن ذلك (٢٠)، وإذا ما فشل هذا الأسلوب، كانوا يستخدمون مهارة Escalade "أي التسلق المساميري للجدران" أو "استخدام السلالم"، فيقتحمون القلاع والمدن(٢١)، وكانوا يقاتلون على الأقدام، أما خيولهم فتستخدم في الأعمال السريعة وتحركاتهم(٢٢)، ومنهم من يستخدم استراتيجية الحذر؛ أي تجنب المعارك المفتوحة والهجمات المباشرة، وبدلاً من ذلك التركيز على إرهاق الخصم بتطويل حرب الاستنزاف(٢٣) أما عن الناحية التنظيمية، ففي المقدمة يأتي المشاة وخلفهم يأتي الرماة مدربين على رمي النار الساحقة والسهام الطويلة(٢٤)، وذاع صيتهم في استخدام القوة بسبب استخدامهم للسيوف والرماح؛ فضلاً عن إصدارهم لضجيج وتذمر وغضب عند الهجوم؛ لإلقاء الرعب في قلوب خصومهم(٢٥)، وقيل عنهم إنهم يضعون أسرى هجماتهم في صناديق ويهددونهم بإغراقهم لاستعجالهم دفع الفدية،

وإذا ما رفضوا يقطعون أعضائهم بشكل منتظم، فيبدأون بأيديهم ثم أنوفهم ثم آذانهم، وإذا ما ماتوا يضعون جثثهم في صناديق وتوضع في خنادق في الجهة اليسرى من القلاع لتكون طعامًا للكلاب(٢٦)، على ما يبدو أنهم كانوا على دراية بما تسببه هذه الجثث إذا ما تحللت فكانوا يضعونها بعيداً عن مصادر الهواء النقي للقلاع.

أما عن الدفع للمأجورين؛ فكان شيئًا جوهريًا لاستخدامهم سواء انتصر المستأجر أو خسر المعركة، وكان المستأجر يدفع لهم بشكلِ جيدًا، أما حقيقة دخولهم المادية؛ فلم تكن متاحة بشكلِ كبير، ولكن يمكن مقارنتها بالدخول المناسبة في الفترة محل الدراسة، عندما يقدر دخل الرجل من الأجر المكسوب في اليوم ثلاثة صولدات، والمرتب المثالي للأجير كان9,4 صولد لليوم الواحد، والعامل في المزارع 9,4 صولد يومياً، والعمل بغزل الصوف 12,17 صولد في اليوم، وكبير البنائين حصل على17,1 صولد يومياً، في حين كان مرتب يوحنا هوكوود أحد قادة الفرق المأجورة 37500 صولد كل شهر، أي مجموع ٧٣ مرة أكثر من راتب كبير البنائين وأكثر من ١٣٣ مرة من الأجر المثالي، والوحدة التي تتكون من ثلاثة رجال معهم ثلاثة خيول ينفق عليهم حوالي٤٤ صولدي يوميًا، والنشابون (حاملو الأقواس) يحصلون على 9,7 صولد لليوم، أما الجنود المشاة الذين لا يملكون مهارات خاصة كان يدفع لهم 3,8 صولد لليوم الواحد(٢٧)، وفي بعض الأحيان هذه الفرق تأخذ أجرها قمحًا ونبيذًا، والمثال الواضح على ذلك حصولهم في إحدى الصفقات على ٩٩٢ بوشل bushels (مكيال للحبوب) من القمح تقريبًا وحوالي ٤.١ برميلاً من النبيذ(٢٨).

وكما هو معلوم تكونت الفرق المأجورة من جنسيات مختلفة، فأصبح في الإمكان أن يصل عددهم في الميدان ٣٥٠٠ من الفرسان و٢٠٠٠ من المشاة والرماة في قمتهم، ويصلوا إلى ٢٥٠ رجل في أقل تقدير، ويرتكزون على مجموعات من حاملي الرماح، لتضم كل مجموعة ثلاثة رجال، الأول يمثل الذراع والثاني حامل الدروع والثالث الخادم الأعزل هذه المجموعات – حاملي الرماح– كانت تعرف بالفريق تخضع لقيادة عريف– رتبة عسكرية– الذي يتمتع – في أوقات كثيرة باستقلالية–، هذا التنظيم كان أساسه تنظيم إداري حقيقي يضم مستشارين على دراية بالقانون، كتَّاب عدل، أمناء صندوق(٢٩)؛ فضلًا عن ذلك امتلكوا الجواسيس والمخبرين،المدراء التجاريين ومستويات مختلفة من الموظفين لتنظيم النواحي المالية(٣٠).

كانت القيادة عامل مهم ورئيس، فالفرق المأجورة تعتمد على القادة في القيادة العسكرية واستخدام عناصر جديدة، والنواحي التنظيمية، وتوزيع الغنائم ودفع الأجور، وهؤلاء القادة كانوا معروفين جيدًا وغالبًا ما كانوا يمثلون رعباً في أوقاتهم ونالوا قسطاً من الشهرة؛ لأن أغلبهم كان من طبقة النبلاء الأقل دُفعوا لممارسة الحرب كمهنة نتيجة للعوامل الاقتصادية(٣١)، ومع منتصف القرن الرابع عشر الميلادي هيمنت الأصول الإنجليزية على هذا المنصب(٣٢)، وكانت شجاعتهم في الحرب تذهل السكان المحليين، وكان أغلبهم قد دخل في خدمة السلطة الملكية سواء فرادى أو جماعات(٣٣) يرافقون العواهل والأمراء في حملاتهم.

كان التوقيع على معاهدة بريتيني في الثامن من مايو ١٣٦٠م(٣٤) التي أوجبت السلام لمملكة فرنسا، في حقيقتها مصدرًا لسوء الحظ، فالمأجورين الذين سرحوا وأصبحوا فى غضون ذلك بدون عمل، أعادوا تنظيم أنفسهم في فرق منتظمة أكثر حيوية من مثيلتها في عام ١٣٥٧م(٣٥)، فالقيادة الجيدة، والتحكم الصارم، والمهارات القتالية لأعضائها تمخضت عن فرقِ عسكرية هائلة(٣٦) تعودت على العيش على غنائم النصر على العدو؛ فقد كانت تقسم حسب قوانين الحرب، فضلاً عن ذلك الأسرى الذين يكونون مصدراً للمال لمن يأسرهم وفقاً لحجم الفدية، وفوق هذا وذاك التخريب المنظم – الذي اتبعوه – كان تكتيك عسكري يظهر عدوانيتهم(٣٧)؛ لذا فالسلام أو فترات الهدن كانت تهدد بقائهم؛ لأن العواهل يكفون عن دفع أجورهم، لأن رواتبهم كانت تثقل موازنتهم؛ لذا قرروا – المأجورين– أن يعيشوا تحت قيادات مختلفة كفرق، وصلوا أحياناً إلى اثنتى عشر ألفًا(٣٨) وواصلوا زاحفهم إلى برجنديا Burgundy(٣٩)، إحدى دوقيات الجنوب الفرنسي ليبدأوا من هناك نشاطهم العدواني صوب أهالي تلك المقاطعات مدنها وقلاعها وقراها، خاصة بعدما أعطى إدوارد الثالث Edward III ملك إنجلترا (١٣٢٧–١٣٧٧م)(٤٠) أوامره إلى كل المأجورين التابعين له في مقاطعة جاسكوني Gascony(٤١) بالانسحاب الكامل من الجنوب الفرنسي بعد معاهدة بريتني، ولكنهم لم يستجيبوا، وبدأت منذ تلك اللحظة حالة من الشك والريبة بينهم وبين السلطتين الدينية والعلمانية في المملكتين(٤٢) غير أن هناك من يرى أن لهذا السلوك منطق يؤيده لأنهم كانوا –الفرق المأجورة– يعيشون على الاضطرابات السياسية والاجتماعية، ووجودهم مرتبط بالصراع من أجل الكسب(٤٣)، فكانت ردة فعلهم التى زادت من نفوذهم بصورة أكبر، فاتضحت أهدافهم في الحصول على المال والثراء، فكان منهم من يعمل على ملء معدته، وآخر يروي عطشه بالمال،

فأطلقوا العنان لجشعهم، فحملوا الأسلحة ضد إخوانهم يحركهم الطمع، فعندما يستولون على قلعة أو مدينة يجبرون أهلها على تخليص أنفسهم بدفع مبالغ من المال، فأصبحوا بتلك الأفعال وحوش شرسة(٤٤)؛ لذا وصفوا في أعمال البابا بأنهم: «الحساء المليء بالمخاطر»، وأنهم: « أناسُ لم يكن بهم الخير ولا الإيمان» (٤٥)، وفسر أحد المؤرخين ذلك بقوله: «... أعطاهم اشتراكهم في حرب المائة عملاً طويل الأمد براتب منتظم وحوافز مادية من فاء الأسرى، ففي غياب الحرب وما يتبعها من انقطاع الأجر تصبح أعمال السرقة وما يتبعها من أسلوب حياة تمرسوا عليه في الصراع الفرنسي الإنجليزي وهو المكان والزمان الذي تلقوا فيه تدريبهم إيمانًا منهم بتقويض سلطة آل فالوا Volois..."(٤٦).

فالموقف السياسي في فرنسا كان أقل تعقيدًا من أماكن أخرى تركزت بها تلك الفرق(٤٧)، فقد تعرضت في الثالث والعشرين من مارس ١٣٥٧م لموجة أولى بعد اتفاقية بوردو Bordeaux(٤٨) بين إنجلترا وفرنسا والتي قادت إلى تسريحهم، غير أنهم اجتمعوا في فرنسا ونهبوا كل شيء أينما ذهبوا، وأشعلوا النيران في القلاع والقرى، وسلبوا الكنائس والأديرة، وقتلوا العديد من النبلاء، وعبثًا حاول البابا أنوسنت السادس Innocent VI (١٣٥٢-١٣٦٢م)(٤٩) أن يضع نهاية لهذه الكارثة بإصدار قرارات اللعن ضدهم، غير أن صواعق الكنيسة كانت عديمة الفائدة ضد رجال بدون عقيدة، يبتهجون للقتل والسلب والتخريب(٥٠)، وأحاطت أفينيون Avignon(٥١) في مايو ١٣٥٧مصادر الخوف من فرقة مأجورة تحت قيادة أرنو دي سرفول Arnaud de Cervole(٥٢) تستعد لاجتياح مقاطعة بروفانس Provence(٥٣).

عبثًا حاول البابا الاستنجاد بالسلطة الملكية الفرنسية والأمراء لإرسال قوة لمواجهة تلك الفرقة المأجورة، ولم يتلق سوى كلمات لطيفة، واجتيحت بروفانس، فوصلت الأخبار إلى أفينيون في السادس من يوليو، فبدأت التحركات لتأمينها لتكون في حالة دفاع إذا ما هُوجمت، فى الوقت الذى توجه أرنو بفرقته إلى باريس منتهزًا حالة الاضطراب القائمة هناك، غير أن هذه الاضطرابات تم قمعها وعاد إلى بروفانس للحصول على أعلى سعر للسلام مع البابا وأهالي المقاطعة، ونجح في ذلك قبل انسحابه في التاسع والعشرين من سبتمبر بعدما حصل على مائة ألف فلورينFlorin(٥٤) من البابوية(٥٥)، وهناك رواية أخرى تفيد بأنه حصل على عشرين ألف فلورين ذهبي، لتوزيعها على فرقته مقابل انسحابه، لذا كانت مكاسبهم كثيرة، دفعتهم للبقاء تحت قيادة أرنو دي سرفول(٥٦).

وعليه يتضح أن صراع إنجلترا وفرنسا كان له العديد من النتائج السياسية، وساحات الصراع فيه متعددة والضرر الأكبر وقع على الطبقة الشعبية بعد بريتني، فبدأت الفرق المأجورة تجذب انتباه البابوية والسلطة العلمانية على حد سواء، على الرغم من أن أفينيون نفسها تعرضت لتهديدات من هذه الفرق فيما بين عامي ١٣٥٧-١٣٥٩م - المشار إليها سلفًا- غير أن التسريح الكامل لهذه الفرق بعد عام ١٣٦٠م أوجد بزوغ المشكلة وخطرها[٥٧] الذي بدأ ثانويًا؛ إلا أنه خلق غضبًا شعبيًا؛ خاصة في إقليم بروفانس في ظل ضعف السلطة الملكية الفرنسية[٥٨]. وعلى ما يبدو أن أحداث بروفانس أكدت حقائق مهمة رسخت في عقول الفرق المأجورة وقادتها، ألا وهي ضعف السلطة الدينية التي ترتكز بشكل أساسي على السلطة الملكية في فرنسا، التي بدورها كانت تمر بحالة من الضعف؛ لصراعها مع مملكة إنجلترا؛ ذلك الصراع الذي توقف بموجب معاهدة بريتني، وانعكس على سلطتها في الجنوب، فضلًا عن هذا وذاك المكاسب المادية والغنائم التي حصلت عليها فرقة أرنو دي سيرفول كانت دافعًا لكثير من الفرق لتقليد التجربة داخل الأراضي الفرنسية.

وكانت حادثة جسر الروح القدس Pont-Saint-Esprit - في ليلتي الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من ديسمبر ١٣٦٠م-، تؤكد على حالة الضعف التي مُنيت بها السلطة الفرنسية، وهذا الجسر يقع على بُعد ٤٠ كيلو متر شمال أفينيون وكان واحدًا من أربعة جسور على نهر الرون[٥٩]، وكان يتحكم في المؤن القادمة إلى أفينيون من الشمال[٦٠] في غضون ذلك قامت فرقة من المأجورين بمهاجمة ريف مدينة بيوكير Beaucaire - القريبة جدًا من المقر البابوي- وقبضوا على السينشيال يوحنا سيوفين John Souvain، وكان لهذين الحدثين أثارًا مهمة أهمها: بدت على البابا أنوسنت ملامح الذعر، وحرمت أفينيون من الاتصال بالعالم الخارجي، وانقطعت المؤن عنها، كما أعطت للفرق المأجورة فرصة مناسبة لإشباع رغباتهم في السرقة والنهب[٦١]، فتقدمت السلطة الدينية مدعومة من السلطة الملكية الفرنسية بطلب إلى الفرق المأجورة، لإخلاء ما تم الاستيلاء عليه من أماكن، غير أنها لم تجد ردًا، وقُبل طلبها بالاستهجان والتعالي معلنين: "أنهم مستمرون حتى لو تجمعت قوى المسيحية جميعًا"[٦٢]، وعليه يتضح ضعف السلطتين الدينية والعلمانية في مواجهة تلك الفرق، فضلًا عن إصرار وقوة تلك الفرق على مواصلة أعمال النهب والسرقة والتخريب داخل الإقليم إذا لم يكن هناك ثمن تدفعه

السلطتين لشراء السلام، فضلًا عن أن هذا الرد زاد من حالة الرعب التى يعيشها المقر البابوي في أفينيون.

ومما يرجح حالة الرعب المنتشرة في أفينيون، فعلى الرغم من عدم اكتمال أسوارها، إلا أن أهلها قاموا ببناء متاريس خشبية، وظلت الدوريات المسلحة المدفوعة من البابا تحرس الطريق المؤدي إلى المدينة، ونصبت المدفعية على الأسوار، تلك الحالة دفعت البابا إلى إعلان الحرب الصليبية ضد هذه الفرق في يناير ١٣٦١م، وبدأ يرسل مواعظه لكل الكنائس لينادي بها مصحوبة باستغاثات، فأصبحت مسموعة في مملكة فرنسا وخارجها [٦٣]، وعلى ما يبدو أنها نجحت؛ والدليل على ذلك وصول قوات كثيرة من قِبل بيدرو الرابع Pedro IV ملك أراجون Aragon(١٣٣٤-١٣٦٩م) ، ومجيء المارشال الفرنسي أرنولد دي أدريهام Arnold de Audrehem، بجيش كبير، وأصبحوا جميعًا قادرين على فرض حصار على معسكر الفرق المأجورة[٦٤]، وتم تعيين يوحنا فرانديز دي هرديا John Fernandez de Heredia قائدًا عامًا للجيوش الصليبية ومعه رئيس أساقفة أوستيا Ostia مندوبًا عن البابا، فقام هذا الجيش بفرض حصار على معسكر الفرق المأجورة، في الوقت الذي كان البابا لا يمتلك فيه مالاً للدفع ولا مؤن لإطعام قواته[٦٥]، فكان خطأً منه؛ لأنه اعتقد أن المناصرين الصليبيين سيقدمون هذه الخدمات بدون مقابل، فاستاء بعضهم وعاد إلى موطنه، وانضم آخرون إلى الفرق الذاهبة للقتال في إيطاليا تحت قيادة مركيز دي مونتفرات Marquis de Montferrat، أما الباقون ما لبثوا أن رفعوا الحصار في منتصف فبراير ١٣٦١م، بعدما حققوا تقدمًا ملحوظًا، فاضطر البابا إلى فتح باب المفاوضات مع الفرق المأجورة مرة أخرى[٦٦] حتى تمكن من الوصول إلى اتفاق في مارس ١٣٦١م، يدفع بمقتضاه ١٤٥٠٠ فلورين ذهبي في سبيل رحيلهم[٦٧]، وعلى مايبدو أنه كان حلاً مؤقتاً يريح السلطة البابوية لفترة قصيرة من تلك الفرق.

ترتب على أحداث جسر الروح القدس أن أصبحت أفينيون مكدسة بالسكان الفارين أمام الفرق المأجورة، فأحدث ذلك مجاعة أدت إلى انتشار الوباء فيما بين التاسع والعشرين من مارس والخامس والعشرين من يوليو ١٣٦١م، مما أدى إلى موت ما يقرب من سبعة عشر ألف من السكان في المدينة من بينهم تسعة من الكرادلة[٦٨]، ويعلق المؤرخ الفرنسي مولات Mollat على سياسة البابا أنوسنت السادس تجاه معالجته لمشكلة الفرق المأجورة، بأنه استمر في دبلوماسيته الحمقاء التي أدت إلى احباطات كثيرة، فعلى الرغم من أنه استمر طوال حياته في

الوعظ وتسوية الخلافات، وإعادة السلام للعالم، فإن عهده كان عهد حرب وشقاق وجريمة، فقد كان ساذجًا ومفتقراً إلى الحكمة، مخدوعًا في ملوك فرنسا، وإنجلترا، ونافارا Navarre ، وقشتالة Castile، وأراجون، في النهاية تغلب عليه الحزن؛ فأنهك جسده وروحه، فدخل في مرض سريع مات على أثره في الثانى عشر من سبتمبر ١٣٦٢م(٦٩)، وعلى ما يبدو أنه قد غاب عن ذهن المؤرخ مولات عدة نقاط أهمها كثرة المشاكل المحيطة بالبابا أنوسنت السادس والتي من بينها المشاكل في إيطاليا، والتي تمثل للبابا في أفينيون ضغط كبير ؛ خاصة في انتشار الفرق المأجورة أيضًا، والصراع الدائر بين مملكتي إنجلترا وفرنسا، وهما درعًا البابوية الذي تحتمي فيه وتحارب به أعدائها، فكانت كالنائم في البرد بدون غطاء، وفوق هذا وذاك حالة الذعر والفزع التي تنتاب أفينيون والبابا بشكلٍ خاص؛ تلك الحالة التي بدون شك تخلق اضطرابًا في التفكير وتضارب في الآراء قد تؤدي حتمًا إلى فشل في ظل فرق متطلعة إلى النهب، والحرق، والتدمير، والاغتصاب، وفرق تفتقد للإيمان، فأفشلت بذلك سلاح البابوية الأول ضد أعدائها، ألا وهو قرارات الحرمان، وفوق هذا وذاك لقد نسى مولات أن البابا رجل دين، وليس قائدًا في ساحات القتال.

وعليه يتضح أن السلطة الدينية العليا كانت قد تأثرت بمشكلة الفرق المأجورة مثلها مثل السلطة العلمانية، فشعرت بحاجتها للحماية لممتلكاتها ضد هجمات تلك الفرق، وكمملكة فرنسا، تعاملت البابوية مع المعاناة عاطفيًّا، فجاء رد فعلها ضعيفًا، فأصبح مقرها في أفينيون وأملاكها وسط إيطاليا معرضة للهجوم مرارًا وتكرارًا من قبل هذه الفرق، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل كانت الفرق المأجورة تهاجم شخص البابا أم كانت تريد نهب أملاكه الضعيفة؟(٧٠)، وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي معرفة أن أفينيون من الناحية الجغرافية تقع على نهر الرون في نقاط الإتصال بين برجنديا وبروفانس وإيطاليا؛ لذا كانت مهددة من قبل الفرق المأجورة في مناسبات عديدة منها ما تم عرضه سلفًا فيما بين عامي ١٣٥٧ و١٣٦٠م(٧١)، وعليه يمكن القول أن التصدي للفرق المأجورة كان يحتاج لقيادة موحدة ومؤهلة في العادة تكون لأمير أو أحد النبلاء يمتلك دراية بفنون القيادة وروح المبادرة، وهذا لم يكن موجودًا عند السلطتين في تلك الفترة؛ لأن التاج الفرنسي كان يمر بأزمة سياسية وأخلاقية ولم يكن قادرًا على إدارة مملكته الداخلية، وكان مفتقرًا لجهود السلطات المحلية والتي كانت تمر بأزمة انعدام الثقة، أما البابوية فكانت ضعيفة حينما يتعلق الأمر بالأمور العسكرية(٧٢).

وهناك من يرى أن التاج الفرنسي كان قلقًا من محاولة القضاء على تلك الفرق؛ لأن هذا الأمر يتطلب الدخول في حرب يخسر فيها التاج من ميزانيته وقواته العسكرية، والنتيجة غير محسومة لما عرف عن هذه الفرق بأنها لا تقهر [٧٣]، ففي مارس ١٣٦٢م أهينت مملكة فرنسا من قبل الفرق المأجورة وبخاصة جماعة بيتيت ميشان Petit Meschin الذي استطاع تجميع ما يقرب من ستة آلاف من الفرسان، وقام بإرسال قائده جاك دي بوربون Jacques de Bourbon " المعروف بأمير الدم" إلى قلعة بوربونيس Bourbonnais مع أربعة آلاف من الجنود، أما بيتيت ميشان، فقد استولى على برجني Brignais، وحصن قلعتها بثلاثمائة رجل من فرقته، وبعد قليل انضم إليه جاك دي بوربون ليلحقا سوياً بملك فرنسا هزيمة مهينة في برجني أبريل ١٣٦٢م، تشبه إلى حد كبير التي تلقاها الجيش الفرنسي في كيرسي Crecy أو بواتييه Poitiers[٧٤]، وما هى إلا أيام حتى تمكن سيجون بيدفول Seguin Badfol وفرقته من المأجورين من هزيمة الجيش الملكي الفرنسي القوي تحت قيادة تنكرفيل Tancarville ويوحنا بوربون John de Bourbon كونت لامارش La March هزيمة ساحقة أيضاً، ويقال إنَّ الملك الفرنسى يوحنا الثاني John II (١٣٥٠-١٣٦٤م) كان قد استأجر أرنو دي سيرفول وفرقته للقتال في صفوف الجيش الفرنسي لمواجهة فرقة سيجون بيدفول، غير أن الهزيمة أسفرت عن أسر أرنو، إلا أنه استطاع أن يفدي نفسه[٧٥].

ويتضح من انتصارات الفرق المأجورة على الجيش الفرنسي أن المعارك كانت شاهدة على براعتهم العسكرية، التى حملت في طياتها فائدة كبيرة لهم؛ فبعدما كانوا فقراء أصبحوا أغنياء بعدما استطاعوا أسر العديد من أصحاب الشرف والكرامة الذين افتدوا أنفسهم بأموال كثيرة، فضلاً عن المدن والقلاع التي أخذوها والتابعة لأسقفية ليون Lyons[٧٦] على نهر الرون[٧٧]، تلك الانتصارات أعطت لهم ثقة كبيرة، وجرأتهم على التاج البابوي في أفينيون وروما على حد سواء[٧٨]، كما يتضح أن الجيش الفرنسي كان أقل من تلك الفرق في القوة العسكرية، ويبدو أن حرب المائة عام قد أنهكته، وكان على فرنسا إعادة النظر بخصوص تلك الفرق.

وبعد مزيد من التفكير توصل التاج الفرنسي فى نهاية الأمر إلى طريقة واحدة فحسب للتخلص من تلك الفرق، ألا وهي الاتفاق معهم عن طريق تجنيدهم داخل الجيش الفرنسي، وأن يدفع لهم بانتظام في أوقات السلم والحرب[٧٩]، ولكن مثل هذا الحل كان من الصعب تطبيقه؛ لأنه يتطلب فرض ضرائب على الشعب باستمرار، وهذا ما لم تستطع السلطة تطبيقه بنجاح

حتى عهد شارل السابع Charles VII (١٤٢٢-١٤٦١م)[٨٠]، والدليل على ذلك ما تعرض له جنوب فرنسا من خسائر كثيرة خلال تلك الفترة، فتعرض ريفه للتخريب والنهب والحرق وتعرض المسافرون منه وله للسرقة والاغتصاب، وكل ذلك غالبًا أمام أعين البابوية[٨١]، وعلى ما يبدو أن أسلوب التخريب والإرهاب كان نهجًا متبعًا لدى الفرق المأجورة وصل إلى قمته في عام ١٣٦٣م[٨٢].

تطور الصراع بين الفرق المأجورة ومملكة فرنسا في النصف الثاني من عام ١٣٦٣م، وزادت حدته حتى وصفت تلك الفترة بأنها الأسوأ فى تدمير الجنوب الفرنسي[٨٣] فكانت ملامحها الهمجية والإبادة والحرق والتخريب وجمع الفدية، فترتب على ذلك خسائر في المزروعات والماشية والاغتصاب وكل أنواع النكبات[٨٤]؛ لذا بدأت نظرة البابوية تتغير تجاه تلك الفرق المأجورة، فبعدما كانت تعتبرهم أعداء داخليين للمسيحية ويجب عليها ترويضهم، بدأت تتخلى عن هذا الأمر باعتلاء البابا أوربان الخامس سدة الكرسي البابوي، خاصة بعدما تكون حلف ضم السلطات المحلية في إقليم لانجدوك في السابع والعشرين من فبراير ١٣٦٤م، وطلبوا من البابا الدعم بمنح الغفران الكامل إلى كل الذين يقاتلون تلك الفرق، فاستجاب البابا بإرسال عدد من الخطابات فيما بين شهري فبراير ومايو موجهة إلى كل رؤساء الأساقفة في مملكة فرنسا تأمرهم بنشر الغفران الكامل[٨٥] في غضون ذلك كان سيجون بيدفول وفرقته المأجورة من بين الأسواء في تلك الفرق، حينما احتلوا مدينة أنس Anse أهم مراكز الاتصالات في حوض نهر الساؤون[٨٦]، فقام البابا بإرسال خطاب إلى أسقف سانت فلور Saint– Flour ردًا على مطالبته والنبلاء والعامة في الأبرشية بمنح أبرشيتهم الغفران لتصديها لأنشطة سيجون بيدفول[٨٧]، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه صليبية البابوية ضد الفرق المأجورة.

في التاسع عشر من مارس ١٣٦٤م طلب الملك الفرنسي من البابا إعانة مالية لمواصلة شراء السلام مع الفرق المأجورة؛ بسبب ما يعانيه جنوب مملكته منهم محاولاً استغلالهم، إلا أن البابا رد بأنه لا يستطيع فرض ضريبة جديدة، في الوقت الذي كانت فيه عشور السنوات الست الماضية يحتاجها للصرف على الحملة الصليبية – المزمع قيامها والمعروفة بحملة ملك قبرص على الإسكندرية – ومن الصعب على رجال الدين تحمل ضريبتين في وقت واحد[٨٨]، وزاد – البابا – على ذلك بأن أرسل خطابًا لرجال الدين الفرنسيين يطالبهم بعدم جباية العشور المفروضة من أجل الحملة الصليبية ولا أية ضرائب أخرى خلال هذا العام[٨٩].

وعلى ما يبدو أن مشروع الملك الفرنسي للتحالف مع الفرق المأجورة فشل في النهاية؛ لرفض الفرق ذلك المشروع في فبراير ١٣٦٤م، ولوفاة الملك الفرنسي يوحنا الثاني في العام نفسه(٩٠)؛ مما دفع البابا أوروبان الخامس إلى الإعلان عن حل تلك الفرق ومغادرتها الأماكن التي استولوا عليها، وإصلاح الأضرار التي تسببوا فيها في غضون شهر واحد، وإلا سيفرض عليهم الحرمان الكنسي Excommunication، وذلك في مرسومه الصادر في السابع والعشرين من مايو ١٣٦٤م تحت اسم "Miserahilis nonnullorum" وألا يقوم أي شخص – كنسي أو علماني– بحل هذه الفرق من عقوبة الحرمان؛ فضلاً عن حرمان رجال الدين والعلمانيين وكل من تسول له نفسه الانخراط أو العمل أو حماية تلك الفرق، أو يدعمهم بتوفير القمح أو الخبز أو النبيذ أو اللحوم أو الخيول أو الأسلحة أو العربات أو القوارب وغيرها من الأشياء الأخرى، أو يسدي لهم النصيحة أو الإحسان، ومن يرتكب هذه الحماقة سيُلعن طوال الحياة، وللبابا فقط الحق في إعفائهم(٩١) وأضاف أنه على الأساقفة أن يبحثوا عن أسماء أولئك الأشخاص والمتواطئين معهم في أبراشيتهم حتى يتم محاكمتهم(٩٢)، وعلى ما يبدو أن البابا أراد بذلك استخدام سلاح الحرب النفسية ضد هؤلاء المأجورين، والعمل على عزلهم، ليصبحوا في الميدان وحدهم، مما يسهل على السلطتين الدينية والعلمانية التصدي لهم والتخلص منهم.

ومما يرجح ذلك ما اعتبر متمم لمرسوم السابع والعشرين من مايو الذي أصدر في يونيو من العام نفسه، والذي جاءت به العديد من الملاحظات المهمة، والتي يحذر فيها السكان من التعامل مع تلك الفرق، وغيرها من التحذيرات المشابهة بالمرسوم السابق(٩٣)، في الوقت نفسه وصلت إلى البابا توسلات مجموعة من الناس – بدون قيادة – من إقليم لانجدوك يطلبون الإسراع في مواجهة تلك الفرق المأجورة، فكتب البابا إلى حاكم الإقليم أرنول دي أدوريهام Arnoul de Audrehem يخبره أن يتكفل بذلك، ويمدهم بقيادة مدربة تمتلك روح المغامرة والمبادرة(٩٤) فيما عرف بتشريع Coj it nos وهو خاص بالأفراد الذين يندفعون للقتال ضد تلك الفرق بدون قائد حكيم متمرس؛ مما يؤدي إلى موت الكثيرين منهم دون نتيجة تذكر، وفي الثالث والعشرين من نوفمبر ١٣٦٤م كتب البابا إلى رئيس أساقفة تولوز(٩٥) ومساعدين الأسقف يعلنهم بأن الذين يقاتلون تحت قيادة مفوضة من قبل السلطة سينالون الغفران، على العكس من ذلك هؤلاء الذين يذهبون للقتال بدون قيادة أو انضباط(٩٦).

علاوة على ذلك، فعلى الرغم من الترابط بين السلطتين الشعبية والبابوية من أجل منح الغفران غير أنهم أحيانًا يكونوا غير مساندين، ففي يناير ١٣٦٥م كتب البابا لمصلحة الناس في مقاطعة ألبي[٩٧] الذين اقتحموا معقل الفرق المأجورة في بايرول Payrole، وقتلوا الراهب وأمه – الذي كان على وفاق مع تلك الفرق المأجورة– فقام المسئولون الملكيون بتهديد الناس في المقاطعة مع فرض غرامات مالية، غير أن البابا تدخل وطلب من السلطات الهدوء مع التخفيف؛ مبرراً أنهم ما فعلوا هذا إلا احترامًا للملك، ودفاعًا عن الوطن، ورداً على الأعمال الوحشية التي ترتكبها تلك الفرق، وفوق هذا وذاك فإن عبء الغرامة المالية الثقيلة سيعيق ردة الفعل الشعبية تجاه تلك الفرق في المستقبل[٩٨]، وأعاد البابا عجز الجهود والمحاولات السابقة للقضاء على تلك الفرق المأجورة إلى أن بعض اللوردات والنبلاء استخدموهم لمصالحهم الخاصة؛ إذ باع رؤسائهم – الفرق– خدماتهم إلى بعضهم ضد البعض الآخر[٩٩]، وعندما تم وقف الحروب فيما بينهم توقفت رواتبهم، فقامت هذه الفرق بالهجوم على السكان وأخذوا يعيثون فسادًا وينشرون الفوضى في جنوب مملكة فرنسا[١٠٠]، وفضلاً عن هذا وذاك كان قادة الفرق المأجورة أنفسهم يعرضون خدماتهم على الأمراء والملوك، وهناك نموذج عرض من أحد قادة الفرق المأجورة على ملك فرنسا، مقترحًا عليه غزو أراضي النمسا Austria، إلا أنهم وصلوا إلى هناك فوجدوه بلداً فقيراً، وبعد القتل والترويع عادوا مرة أخرى[١٠١]، دون تحقيق نجاحات تذكر.

وعليه أصبحت الفرق المأجورة كارثة كبيرة على مملكة فرنسا؛ لذا قام البابا أوروبان الخامس بإصدار تشريع آخر سمي "Clamat ad nos" – مثير للإعجاب رغم بنوده الكثيرة – في الخامس من أبريل ١٣٦٥م موجه في المقام الأول إلى هؤلاء السادة والنبلاء – في مملكة فرنسا– الذين يستخدمون الفرق المأجورة، فأصبح بمثابة إنذار لهؤلاء الذين يستخدمون تلك الفرق لمصالحهم الخاصة، بشراء خدماتهم أو وضعوا أنفسهم على قيادتها، وأرسلت منه نسخ إلى أنحاء فرنسا[١٠٢] وإيطاليا وأسبانيا، وجاء فيه: « ... يجرد من الأوسمة والممتلكات ويعزل كل من يثبت تورطه في التفاوض مع الفرق المأجورة، ويصل الأمر إلى أحفادهم حتى الجيل الثالث، أما رجال الدين فيحرموا من شرف مناصبهم، فضلاً عن مجموعة من العقوبات الأخرى...»، وجاء في نهاية التشريع توصية للملوك والأساقفة والسلطات الملكية والمحلية بالتصدي لتلك الفرق بكل الوسائل الممكنة[١٠٣].

وما لبث البابا أن أرسل رسالة في صورة تشريع لرؤساء الأساقفة داخل مملكة فرنسا يشكو فيها الأضرار الجسيمة التي ألحقاتها تلك الفرق المأجورة بالرعايا المسيحيين محاولاً إثارة همتهم للعمل على وقف غاراتهم، داعيًا الجميع – العامة ورجال الدين– للوقوف صفًا واحدًا في وجه تلك الفرق، ملومًا باستغاثات الشعب الفرنسي من جرائمهم بقوله: «...الدماء البريئة للكثيرين تصرخ إلينا من أماكن مختلفة، دماء البائسين من الأيتام والأرامل وغيرهم ممن شردوا ونهبت أملاكهم من الصفوة والعامة الأغنياء والفقراء، كل هؤلاء الذين شعروا بالغربة في أحضان أمهم الكنيسة المقدسة... »[١٠٤] كما حرض البابا الجميع ضد هؤلاء الذين تمرسوا على ارتكاب الجرائم بقوله: «... لقد أصبح معلومًا لدى معظم الشعب المسيحي أن هؤلاء الملعونين ممن حملوا السلاح، ويسمون أنفسهم فرق، تمادت أطماعهم الإجرامية فنهبوا أموال الناس وسفكوا دماء الأبرياء فكانوا بذلك كالوحوش المفترسة ...»[١٠٥]، «... وعندما أنذرناهم من قبل لم يكفوا عن إجرامهم وزادوا في جرائمهم ضد إخوانهم المسيحيين وضد أمهم الكنيسة المقدسة والرب...»[١٠٦].

ونتيجة لجهود البابا أوروبان الخامس في التخلص من تلك الفرق المأجورة والتي أثبت فشلها فيما بين عامي ١٣٦٣-١٣٦٤م، رأت السلطة العلمانية في العام التالي ممثلة في الإمبراطور الألماني شارل الرابع Charles IV (١٣٥٥-١٣٧٨م)[١٠٧]، والملك الفرنسي شارل الخامس وسائل سلمية للتخلص من تلك الفرق؛ خاصة بعدما انتهى الخلاف بين أسرة آل فالو وشارل دي نافارا مارس ١٣٦٥م، وانتهت الحرب الداخلية في مقاطعة بريتاني Bretigny[١٠٨] في أبريل من العام نفسه، وأصبحت مشكلة الفرق المأجورة تطفوا على السطح في ظل تهديد ووعيد من البابا[١٠٩]، فكان الحل يتمثل في القضاء عليهم إما في معركة أو إرسالهم بعيدًا، وأصبح الحل الأخير هو الأمثل؛ لعدم امتلاك الملكية الفرنسية مصادر اقتصادية ولا عسكرية لطردهم أو استغلالهم أو تصفيتهم[١١٠]؛ لذا تعاون البابا والملك الفرنسي لإرسالهم إلى مملكة هنغاريا[١١١] إلا أن الفرق المأجورة رفضت الذهاب إلى الحدود الشرقية لأوروبا، في الوقت الذي بدت فيه معالم استعانة هنري دي تراستمارال Henry de Trastamaral في صراعه ضد أخيه بدور الأول Pedro I ملك قشتالة (١٣٥٠-١٣٦٩م)[١١٢]، وعليه تمحور فكر السلطة الملكية الفرنسية أنها لو استطاعت توجيه هذه الجماعات لدعم هنري، ثم تقوم المقاطعات الفرنسية في الجنوب بالاعتراف بقانونيته، عندها ستتحول الفرق المأجورة رويدًا رويدًا للأراضي

الإسبانية، فهناك البيئة المناسبة لها لممارسة أنشطتها العسكرية في الصراع الدائر بين الأخوين على العرش القشتالي[١١٣]، في الوقت الذي كان فيه بدور الأول قد دعم صفوفه بالفرق المأجورة وفرقة الأمير الأسود Black Prince[١١٤]، في خريف ١٣٦٦م، ومنذ ذلك الحين أصبح لا يمكن لأحد أن يربح القتال دون دعم؛ مما جعل من الحرب الأهلية – في إسبانيا– حربًا دولية[١١٥]، ومسرحاً عسكرياً تفرغ فيه قوى الفرق المرتزقة، وتشبع رغباتهم القتالية.

واستكمالاً لهذا المشروع، بدأت مفاوضات بين الملك الفرنسي شارل الخامس وبطرس الرابع ملك أراجون منذ عام ١٣٦٤م من أجل استخدام الفرق المأجورة ضد مملكة نافارا وجاسكوني، غير أن الملك الأراجوني اشترط لذلك نصرته في الحرب الأراجونية ضد قشتالة، وأن تنتهي أولاً، فوافق الملك الفرنسي واتفق على استخدام المأجورين أولاً ضد قشتالة ثم ضد نافارا[١١٦]، على ما يبدو أن أهداف الملكين كانت واضحة، فالملك الفرنسي أراد الاستفادة من توجيه تلك الفرق المأجورة بعيدًا عن جنوب مملكته محاولاً الاستفادة منهم في صراعه ضد قوى الإنجليز في جاسكوني وقوة ملك نافارا، والتي اتضحت قوتهما في معركتي كوشيرل وأوري Auray في التاسع والعشرين من سبتمبر ١٣٦٤م[١١٧]، أما الملك الأراجوني فعلى خلافات حدودية مع بدرو الأول ملك قشتالة؛ فمساعدته لوصول هنري للعرش يضمن له إعادة ما سلب منه وضمان حيادية مملكته وعدم دخوله أراضيه مطلقًا.

لذا تم الاتفاق على أن تتجمع القوات في صيف ١٣٦٥م، تحت قيادة أحد قادة الفرق المأجورة وهو أرنو دي سيرفول، بعدما يتم إقناع البابا الذي كان في سلام مع ملك قشتالة – بدرو الأول– لإعطاء الحملة مساندته ودعمه المالي من حصيلة المبالغ المجموعة من العشور الإكليركية، فى الوقت الذى كان فيه شارل الخامس – ملك فرنسا– قادرًا على تقديم هذا المشروع كحرب صليبية ضد غرناطة Granada تمر من خلال مملكة قشتالة، ويبدو أن هذا الحل كان مفضلاً للفرق المأجورة، فيمكنهم من خلاله إعادة الاستيطان في إقليم بروفانس، فضلاً عن صكوك الغفران التي سيصدرها البابا من أجل تلك الحملة[١١٨]، وعليه يتضح أن الإعانات المالية من البابوية كانت ضرورية ومطلوبة رغم ما تعانيه البابوية من صعوبات مالية فى هذا الوقت.

وعلى ما يبدو أيضًا أن النجاح كان حليف الملك الفرنسي في إقناع البابا، نظرًا لأن الحملة سوف تمول في بدايتها بمائة ألف فلورين كلها من البابا أوربان الخامس، وتم الاتفاق

بين البابا والملكين على تغيير قيادة الحملة باستبدال أرنو دي سيرفول ببرتراند دي جوسكلين أحد قادة الفرق المأجورة أيضًا ومعه أرنول دي أدورهام كقائد ثاني(١١٩)، فضلاً عن ذلك مُنح جوسكلين لقب كونت دي بورجيا Count de Borja(١٢٠) والقلاع والقرى من بورجيا وماجلون Magallon(١٢١) القريبة من الحدود بين مملكتي أراجون وقشتالة(١٢٢)، كما وعد كل من ملك أراجون وهنري تراستمارال جوسكلين بإعطائه مملكة غرناطة المسلمة لو تمكن من استعادتها(١٢٣)، وعلى الرغم من الترتيبات الجيدة من قبل الملكين والسلطة البابوية إلا أن ما تمتعت به الفرق المأجورة من حب للسلب والنهب والتخريب والمغامرة دفعها وقادتها لارتكاب بعض الأمور قبل رحيلهم، فقام برتراند دي جوسكلين بالعمل منفردًا، وجمع اثنان وثلاثون ألف فرنك للمقايضة من أجل قيادة الفرق المأجورة إلى غرناطة(١٢٤)، في الوقت الذي قامت فيه الفرق الأخرى بتسلم العشور من البابا مضافاً إليها العشور التي كانت مؤجلة عند البابوية(١٢٥)، وفي أثناء تحركاتهم صوب الجنوب لم يستطع قادتهم كبح جماحهم، والاستجابة لمطالبهم الكثيرة؛ لذا طلبوا من سنشال بروفانس دفع ثلاثين ألف فلورين فدية لمقاطعته وخمسة آلاف من البابا فدية لإقطاع فانيسن Venaissin وعشرة آلاف فرنك من مونبليه(١٢٦)، وهذا الأمر ليس بمستغرب من قبل الفرق المأجورة فتلك مبادئهم وسياستهم التي اعتادوا عليها.

وعلى الرغم من ذلك أنهت الفرق المأجورة عملها داخل إسبانيا مع نهاية عام ١٣٦٥م وأُثبتت مهارتهم القتالية بشكل هائل، فقد أفقدوا بدرو دي قشتالة مدن بورجوس Burgos وطليطلة Toledo وإشبيلية Seville، وقاموا بتتويج هنري دي تراستمارال ملكًا، وظلت فكرة الحرب الصليبية ضد غرناطة قائمة نتيجة لطموحات براتراند دي جوسكلين التي كانت تمهد لتطلعاته في تأسيس ملجأ خارجي يصبح مقاطعة لنفسه في غرناطة مقتديًا في ذلك بما فعله القطلان Catalans في بلاد اليونان Greece(١٢٧)، وساعده على ذلك تصرفات فرقته غير المسئولة في بورجوس؛ مما دفع الملك هنري دي تراستمارال منح جوسلين تاج غرناطة(١٢٨)، غير أن هذه الانتصارات كانت من وجهة نظر الملك الفرنسي والبابا تعوزها الحيوية خصوصًا بعدما عاد منهم الكثير إلى فرنسا والبعض بقى للقتال في غرناطة(١٢٩)، غير أن هؤلاء الذي عادوا ما لبثوا أن التحقوا بأقرانهم في جنوب فرنسا ومثلوا حلقة سيئة من حلقات المواجهة مع السلطة العلمانية في منتصف عام ١٣٦٦م، بلغت ذروتها في الخامس عشر من أغسطس من العام نفسه، حينما هُزمت قوات سنشال دي تولوز وكراكسونا Carcassonne وفيسكونت دي

نوربون Viscount de Narbonne هزيمة منكرة أمام قوى الفرق المأجورة في مونتيبان Montauban[١٣٠] .

لكن في فرنسا كما في إيطاليا، كان تحديد غفران الحرب الصليبية لهؤلاء الذين قتلوا في القتال ضد الفرق المأجورة مطلبًا عامًا، حينما قدم الشعب الفرنسي للبابا أوروبان الخامس من خلال ملكهم عرضية يلتمسون فيها غفران حرب صليبية كامل، في الوقت الذي جادل فيه الملك شارل الخامس تلك الفرق المأجورة في استحقاقهم للإدانة بالانشقاق الذي دائمًا ما يقود إلى الهرطقة، فتلك الفرق كانت نفسها مظهرًا من مظاهر ضلال المعتقدات من خلال معارضتهم للكنيسة، وعدم احترامهم لسلطة البابوية؛ لذا وجب عليها فرض حربًا صليبية كاملة ضدهم[١٣١]؛ لذا قام البابا "... بمنح الغفران الصليبي إلى كل من يقاتل ضد هؤلاء المأجورين وإلى كل هؤلاء الذين يتبرعون بأموال أو أملاك طواعًا من أجل الدفاع عن المملكة، وإلى كل الذين يدعمون السلطة الملكية، وفي هذا ليس هناك تميزًا بين الجنسين ولا الطبقات الاجتماعية، وليس بالضرورة الحصول عليه بالموت في المعركة أو بجروح تلقوها هناك..."[١٣٢].

وفي إسبانيا برغم النجاحات التي حققتها فرقة برتراند دي جوسلين المأجورة لمصلحة هنري دي تراستمارال، إلا أن بدرو الأول استنجد بالأمير الأسود وفرقته مرة ثانية لاسترداد عرشه الذي فقده لصالح أخيه هنري، وفي الثالث من أبريل ١٣٦٧م، وبالقرب ناجيرا Najera –في مقاطعة لاريوجا La Rioja التابعة لمملكة قشتالة– انتصر التحالف الإنجليزي الإسباني[١٣٣]، غير أن هنري لم يُهزم بشكل نهائي، وفر هاربًا إلى أراجون ومنها إلى أفينيون، بينما أُسر براتراند دي جوسلين [١٣٤]، وعلى الرغم من أن تلك المعركة أظهرت النجاحات العسكرية للأمير الأسود؛ إلا أنها أماطت اللثام عن الفشل في أمور أخرى، فقد وعد بدرو الأمير الأسود بمبالغ ضخمة من المال نظير مساعدته، ولكنه في النهاية لم يكن قادرًا على تجهيزها[١٣٥]، فجعلت الأمير الأسود يتعرض لسخط عام من فرقته التي لم تأخذ أي أجور، كذلك من أهالي جاسكوني التي فُرضت عليهم الضرائب لتغطية أجور فرقته المأجورة[١٣٦]، وعلى ما يبدو أن معركة ناجيرا لم تكن حاسمة ولم يستطع بدرو فيها القضاء على أخيه غير الشرعي هنري دي تراستمارال، وتركت أثارا سياسية كبيرة على القوى العسكرية المشتركة فيها، وكذلك طرفي الصراع في إسبانيا.

ومما يرجح ذلك قيام هنري دي تراستمارال بعقد معاهدة أجيوس مورتاس Aigues Mortes مع الملك الفرنسي شارل الخامس في ١٣ أغسطس ١٣٦٧م[١٣٧] ، وحصل هنري بمقتضاها على مساعدات مالية لإعادة استئجار الفرق المأجورة من جنوب فرنسا التي تحت قيادة برنال دي بيرن Bernal de Bearn وأرنول دي سولييه Arnoul de Solier وبطرس دي فيلُين Pierre de Villaines، في الوقت الذي طلب الحليف الثالث – بطرس الرابع ملك أراجون – عدم دخول جيوش هنري والفرق المأجورة أراضي مملكته، ووصل هنري والمأجورون إلي كالورا Calahorra في الثامن والعشرين من سبتمبر من العام نفسه، ومنها إلي بورجوس، وفي النهاية وصل طليطلة في الثلاثين من أبريل ١٣٦٨م، غير أن الحملة لم تحقق الغرض المطلوب وتوقفت الحرب[١٣٨]، وعليه يتضح التضحيات التي قدمها –الملك الفرنسي– شارل الخامس من أجل التخلص من تلك الفرق المأجورة، تلك الفرق التي أرقت الجنوب الفرنسي وخلقت فزعاً وخراباً وتدمير هناك، دفعت معها الملك الفرنسي أن يمد هنري دي تراستمارال بأموال – في الوقت الذي لم يمثل فيه هنري خطرًا على الملك الفرنسي وأملاكه تجبره على دفع هذه الأموال – لاستخدامها في استجئار الفرق المأجورة في جنوب مملكة فرنسا ليرحلوا عنها وتهلك قواهم في حرب قد تقضي عليهم أو تشغلهم عن مملكة فرنسا أو تشبع رغباتهم في القتل والنهب والتخريب، وكان هذا هو سلاح الملك الفرنسي منذ اعتلائه عرش المملكة؛ فضلاً عن هذا وذاك يكسب ولاء هنري ملك قشتالة لما تمثله تلك المملكة من صنع توازن للقوى في حالة تجدد الصراع الفرنسي النافاري؛ فضلاً عن رغبة الملك الأراجوني في استمرار حالة السلم بينه وبين مملكة قشتالة، أما هنري فقد أراد القضاء على أخيه بدرو الأول واعتلاء عرش قشتالة.

ولتحقيق هذا الغرض بعدما فشلت حملة ١٣٦٧–١٣٦٨م؛ عرض هنري تراستمارال على الملك الفرنسي أن تدعمه مملكة فرنسا بما يحتاجه لتحقيق الانتصار على أخيه بيدرو، فقام الملك الفرنسي بإرسال الفرق البيضاء الجديدة New White Companies إلى قشتالة، واستطاعت هذه الفرق مساعدة هنري في الانتصار في معركة مونتيل Montiel في الرابع عشر من أبريل ١٣٦٩م، والتي أسفرت عن مقتل بدرو الأول وإنهاء الحرب الأهلية في قشتالة[١٣٩]، ويومها استلم قادة الفرق المأجورة كميات كبيرة من الأموال وأشياء أخرى على سبيل المكافآت، فعلى سبيل المثال؛ استلم براتراند دي جوسلين ما وعُد به سلفاً، بالإضافة إلى كونتية تراستمارال[١٤٠]، ولإفراط – هنري دي تراستمارال – في الوعود للفرق المأجورة بالمال الكثير أكثر

ممَّا كان يمتلك، فاضطر إلى منح قادتهم بعض القلاع في العشرين من ديسمبر ١٣٦٩م[١٤١]، وعليه خُيل – للسلطتين– أن النزاعات الخارجية طويلة الأمد ممثلة في الحرب القشتالية ستكون حلا للتخلص من الفرق المأجورة، إلا أنهم كما عرف عنهم من أنهم مجموعات من المغامرين يخضعون لقيادات متفاوتة في المرتبة الاجتماعية ولنظام الفروسية التقليدي لم يكن يعنيهم في المقام الأول سوى الغنيمة والكسب الكبير[١٤٢]، وهذا ما جعلهم دومًا مرتكزين في الجنوب الفرنسي البعيد عن مقر السلطة الملكية والقريب من مقر البابوية، فهناك تسهل عمليات السلب والنهب والسرقة سواء الموجود في جنوب فرنسا أو القادم من أماكن أخرى إلى مقر البابوية في أفينيون؛ لذا لم تكن الحرب الأهلية في إسبانيا سوى محطات تأخذهم لشهور تشبع رغبة وتدر دخلاً، إلا أن الاستقرار، والروح والمجيء كان للجنوب الفرنسي، الذي ذاق الأمرين من وجودهم فيه، ولم تفلح خطط الملك الفرنسي والبابا على حد سواء في أبعادهم عنه سواء بتوجيههم إلي الأراضي الإسبانية، أو بطرق أخرى.

ومما يرجح ذلك إرسال البابا أوربان الخامس عدة خطابات مؤرخة بالتاسع عشر من يناير ١٣٦٩م، إلى رؤساء الأساقفة في شمال فرنسا، يمنح فيها الغفران الكامل ولفترة طويلة إلى كل هؤلاء الذين يموتون في معارك ضد الفرق المأجورة وغفران جزئي غير محددًا أيضًا إلى كل الذين يرسلون جنودًا لقتال تلك الفرق، وهؤلاء الذين يتبرعون بأموال أو أملاك أو أعطوا مشورة أو مساعدة، وكُلف رئيس أساقفة ريمس Reims[١٤٣] بتعميم ذلك[١٤٤]، في الوقت الذي كان فيه الملك الفرنسي يَعد العدة لاستئناف الحرب ضد مملكة إنجلترا، ذلك الصراع القائم على استخدام تلك الفرق المأجورة بشكل قانوني مرة أخرى[١٤٥]، ويخلق لهم أرضا خصبة لإشباع رغباتهم في المال والقتال.

ومن هذا وذاك يمكن القول إن الاستمرارية في السياسة البابوية الغفرانية تستطيع رؤيتها بشكل واضح في النقاشات المستخدمة في تبرير إصدار غفران الحرب الصليبية كاملاً ضد الفرق المأجورة، ففي سلسلة الحروب الصليبية المبكرة ضد المتمردين والمطرودين، كانت التبريرات دفاعية أكثر منها قسرية أو تأديبية[١٤٦]، غير أن هذه المرة تتضح بتبريرات البابوية في افتتاحية البابا البارزة من "Cog it nos" بقوله: «... إن أفعال هؤلاء الخبثاء، الأكثر وحشية ضد البريئين، دفعتنا لرد حيلهم الشريرة، والسعي بكل جد للدفاع عن الناس ضد هؤلاء الخبثاء الذين قاموا بهجمات متباعدة والآن يهاجموننا ...»[١٤٧]، وعليه يتضح أن الحرب

الصليبية ضد هؤلاء كانت وسيلة مقصودة لصد هجماتهم[١٤٨]، ورعاية المسيحية والمسيحيين من بطشهم وتهديداتهم، فكانت عروض الغفران من باب التحفيز الشخصي «... نحن ندعو المؤمنين بالمسيح أن يدافعوا عن أنفسهم ببسالة ضد هؤلاء بقوة وجرأة مع هدايا روحانية من الغفران والمغفرة ...»[١٤٩]؛ غير أن هذه التبريرات نوقشت من قبل بعض المؤرخين ونتج عنها آراء ثلاثة: **أولاً:** الفرق المأجورة كانوا متهمين بوقوفهم في طريق الحملة الصليبية المزمع إرسالها إلى الشرق، والتى بدأ التخطيط لها في بدايات ١٣٦٠م تحت قيادة ملكي فرنسا وقبرص[١٥٠]، **ثانيًا:** شكلت الفرق المأجورة تهديدًا لأمن التاج البابوي كما حدث في ١٣٦١م، هذا التهديد صور على أنه اعتداء على العقيدة المسيحية تمامًا بالطريقة نفسها، فمنذ قرن من الزمان وتحديدًا عام ١٢٦٤م، حاول مانفرد ملك صقلية Manfred of Sicily (١٢٣٢-١٢٦٦م) القبض على البابا أوروبان الرابعUrban IV (١٢٦٤-١٢٦٤م)[١٥١] غير أنه لم يمثِّل تهديدًا على المسيحية[١٥٢]، **ثالثًا:** التهم Fautoria heresiae من مساعدة الهراطقة كانت قد استخدمت ضد الفرق المأجورة بحد أدنى مرة واحدة عندما جاء كونراد دي لاندو Conrad of Landau -أحد قادتهم- لدعم فرنشيسكو أورديلافى Francesco Ordelaffi في إيطاليا عام ١٣٥٧م[١٥٣] ، وبشكل مثير للاهتمام والانتباه، يلاحظ أن تهمة الهرطقة نفسها لم تظهر للنور حتى الآن ولم تستخدم، ومع ذلك اعتقد الملك الفرنسي شارل الخامس أنه من الممكن استخدامها؛ - وكان محقًا في ذلك- لأن بعض المأجورين أظهروا احتقارًا لقوة البابا الروحية[١٥٤]، غير أن السلطة الدينية ارتكزت على الوحشية وعدم الآدامية التي انتهجتها عناصر الفرق المأجورة[١٥٥].

وعليه يمكن القول إن السلطتين الدينية والدنيوية قد أدركتا بمسؤوليتهما تجاه مشكلة الفرق المأجورة، فيما يخص الدومين الفرنسي والأقاليم الجنوبية منه بشكل خاص، في الوقت الذي شعرت فيه قمة المسيحية -البابوية- بمسؤوليتها في الدفاع عن المسيحية والمسيحيين في ظل حالة الضعف التي تمر بها الملكية الفرنسية نتيجة للضربات المتلاحقة في حرب المائة عام وكذلك انتشار تلك الفرق في النصف الجنوبي منها، والذي يعود في المقام الأول إلى قوة وتماسك تلك الفرق، وعليه فكرت البابوية في عدة بدائل للتعامل معهم وإمكانية التخلص منهم، فكان من بين تلك البدائل محاولة إجبارهم على الذهاب في حرب صليبية ضد المسلمين، حينها سيتم الاستفادة من قدراتهم العسكرية، الأمر الذى سيريح مملكة فرنسا من وحشيتهم.

كانت معظم السوابق البارزة في أسلوب التعامل مع تلك الفرق – في الحرب الصليبية – من تصميم البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨-١٠٩٩م)، حينما عمل على تحويل قوة المحظورين في القرن الحادي عشر في أوروبا، وذلك بإقناعهم بالعمل كفرسان للمسيح فيما وراء البحار(١٥٦)، وأشار لذلك مقطع مشهور من خطبته الشهيرة حينما قال: «... دع هؤلاء الذين كانوا عصابات منذ أمد طويل أن يكونوا الآن جنودًا للمسيح، ودع هؤلاء الذين اعتادوا الدخول في معارك مع إخوانهم وأقاربهم الآن أن يقاتلون بشكل شرعي ضد البرابرة، دع هؤلاء الذين كانوا مستأجرين منذ أمد بعيد أن يجنوا الآن منح أبدية ...»(١٥٧)، وهناك بدت مؤثرات أخرى توضح تلك الأفكار، فعلى سبيل المثال القديسة كاترينا دي سينا Saint Catherine de Siena ناشدت يوحنا هوكوود أن يتخلى عن العمل للشيطان ويعمل للمسيح بقيادته لمجموعة من الجنود إلى الأراضي المقدسة(١٥٨).

وعليه يتضح أن فكرة استخدام الفرق المأجورة في الحروب الصليبية لم تكن بجديدة ووليدة النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، فقد سعت البابوية من قبل استخدام القطلان(١٥٩) بعدما استقروا في شمال اليونان، في مجمع فيين Vienne عام ١٣١١م، فكان هناك مشروع بابوي لتوجيه القطلان لحرب صليبية إلي الأراضي المقدسة عبر القسطنطينية Constantinople وأرمينيا Armenia، وحاول شارل دي فالو Charles de Valois (١٢٩٤-١٣٢٨م) إستئجارهم من أجل مخططه الصليبي ضد القسطنطينية، وكذلك البابا كليمنت السادس Clemant VI (١٣٤٢-١٣٥٢م)(١٦٠) كان يأمل في استغلالهم؛ على أن يقوم بإلغاء العقوبات الكنسية الموقعة على دوقيتهم(١٦١)، وهكذا ارتبطت مصالح البابوية مع الفرق المأجورة، معها أو ضدها، حسب المصلحة.

غير أن السوابق المبكرة للاستعانة بالفرق المأجورة لا تمتلك مقدار كافٍ من النجاح للبدء في مفاوضات معهم، في الوقت الذي بدأ التخطيط – خلال عامي١٣٦٠-١٣٦١م– للحملة الصليبية، فأعطى البابا أوربان الخامس في الحادى والثلاثين من مارس ١٣٦٣م الصليب إلى كل من يوحنا الثاني ملك فرنسا(١٦٢) وبطرس الأول Peter I ملك قبرص Cyprus (١٣٥٨-١٣٦٩م)، وعدد من النبلاء الفرنسيين(١٦٣) والقبارصة، وبدأ التبشير لها في كل مكان، وجُمعت الضرائب من أجلها، وتقرر إبحارها في الأول من مارس ١٣٦٥م، لقتال الأتراك في آسيا الصغرى، وبعد أن يتم تحطيمهم؛ يمكن للصليبيين استعادة الأراضي المقدسة(١٦٤)، وهذه كانت

الطموحات الصليبية منذ عام ١٣٣٠م وما بعدها(١٦٥)، وكانت روح الحرب الصليبية إذا ما أوقظت، أخمدت الخلافات بين الشعوب في الغرب الأوروبي(١٦٦).

وكان الملك يوحنا الثاني يأمل من حمله للصليب أن يتحد تحت رايته الفرق المأجورة التي لم تستطع سلطته القضاء عليها، في الوقت الذي كان البابا يضيق ذرعًا من تصرفات تلك الجماعات وتحديهم لسلطته وتهديده هو شخصيًا؛ لذا ساند بكل حماسة قرار الملك الفرنسي، وهدد بحرمان كل من يسعى لإبعاد الملك عن مشروعه المقدس(١٦٧)، وقيل أن سبب ذلك هو عدم ثقة البابا في صلابة قرار الملك الفرنسي(١٦٨) وأملاً من البابا في استخدام الفرق المأجورة، فجمع إليه قادتهم وكبار رجالهم، وفي الثالث والعشرين من مايو ١٣٦٣م، ألقى فيهم كلمة أشار فيها إلى حاجة الأراضي المقدسة إلى مساعدتهم، ودعاهم إلى حمل الصليب، وتوجيه سهامهم إلي وجه المسلمين، في المقابل سيحصلون على الغفران الكامل عن كل جرائمهم التي ارتكبوها ضد إخوانهم المسيحيين، وأكد ذلك في خطاب – مثير للإعجاب – مؤرخ بالخامس والعشرين من مايو ١٣٦٣م لأعضاء هذه الفرق وقادتها في مملكة فرنسا ومناطق الحدود، يدعوهم للذهاب إلى الشرق لاستعادة الأراضي المقدسة " ...لأنهم أفضل من غيرهم وعلى دراية جيدة بالأساليب الحربية والفنون القتالية ... وعندها سيكونون قادرين على التوبة من الذنوب التي تكررت في حروبهم ضد الله والكنائس وأساقفتها والشعب المسيحي البرئ..."، وتم تكليف الراهب أغسطين Augustin مبعوثاً البابا، لمنح الغفران التام لكل الذين حملوا الصليب(١٦٩).

وهناك خطاب مؤرخ بالأول من يونيو ١٣٦٣م جاء فيه: «... إلى أبنائي الرجال الأعزاء ... الذين ينتمون إلى الفرق المأجورة – قادة وأفراد– في مملكة فرنسا وفي كل مكان من حولها وغيرهم من الصالحين ... يجب عليكم جميعًا السعي وراء السلوك القويم وأن يكون تحمسكم لتحقيق غاية من أجل المسيح –عليه السلام– وتوجهوا جهودكم للمساعدة في الحرب من أجل نصرة الرب ... وعليكم أن تتركوا الأفعال الدينية ضد المسيحية وضد كنائسها وألا تقتلوا رجالها الأبرياء وألا تدمروا قراها ومدنها ... فالخير كل الخير في الحصول على ثروات الشرق التي استحوذ عليها المسلمون ... وعلى رجال الدين أن يمنحوا شارة الصليب مصحوبة بصك الغفران لكل من يشترك في الحملة الصليبية الموجهة إلى الشرق(١٧٠)، وعليه يتضح مسعى البابا لتحفيز تلك الفرق للحرب الصليبية مشوباً بالحذر، وهو الأمر الذى يرجحه دعوة الملك الفرنسي – أغسطس ١٣٦٣م– ليوحنا فراندیز دي هرديا John Fernandez of Heredia حاكم أمبوستا

Amposta[١٧١] للحضور لمقر التاج الملكي لاستشارته في أمر إعداد الحملة الصليبية، فرد البابا أوربان نيابة عن هرديا بخطاب مؤرخ بالرابع من سبتمبر معتذرًا لخوفه على أمبوستا من أن تكون مغنمًا للفرق المأجورة المرتقب قدومها من إسبانيا وقشتالة، مما قد يعيق أمر الحملة الصليبية[١٧٢].

ومع بدايات عام ١٣٦٤م بدأ البابا بالعمل فيما يخص هذه الفرق المأجورة بإصداره لمجموعة من التشريعات تنص على اشتراك هذه الفرق في الحملة الصليبية الجاري إعدادها في الغرب، فقام في السابع والعشرين من فبراير ١٣٦٤م بدعوتها إلى الاتحاد، وتوجيه مجهوداتها إلى محاربة المسلمين في الشرق بدلاً من ارتكاب جرائم النهب والحرق والترويع والاغتصاب والقتل وتدنيس الكنائس والأديرة[١٧٣]، وعليه يتضح إدراك البابا الجيد الأثر السيء لعدم اشتراك الفرق المأجورة في الحملة الصليبية؛ لأن النبلاء الفرنسيين لا يستطيعون الذهاب للقتال وراء البحار بينما أملاكهم كانت تدمر بواسطة تلك الفرق[١٧٤] ، وهو الأمر الذى أفصح عنه أحد المؤرخين بقوله: " في الواقع أن الحملة الصليبية على الشرق حملت في طياتها أسباب إخفاقها في اعتمادها على مشروع الاتحاد الفرنسي القبرصي ومشاركة الفرق المأجورة؛ لذا حينما رفضوا الذهاب إلى ما وراء البحار، توقف الاهتمام بالحرب الصليبية في فرنسا، ومنذ تلك اللحظة أصبحت الحرب الصليبية مناسبة أكثر ضد الفرق المأجورة "[١٧٥]، وتأخذ حيز داخل المجتمع الفرنسي والسلطة البابوية على حد سواء.

وبالنظر إلى الجهود المبذولة من السلطتين العلمانية والدينية في مواجهة تلك الفرق المأجورة، وحرصهم على خروجهم في الحملة الصليبية المزمع قيامها، يتضح لنا عدة نقاط مهمة:

أولاً: موقف السلطة الدنيوية والتي على رأسها الملك الفرنسي يوحنا الطيب حتى عام ١٣٦٤م، فهو كما قيل أنَّ تسلسل الأخطاء والعناد ساقه ومملكته إلى نكبة جديدة ممثلة في الفرق المأجورة، وأبرز هذه الأخطاء أنه جعل ملك نافارًا أخطر عدو له، ولم تكن سياسته المالية بأفضل من السياسية؛ فقد أفقرت بلاده كثيرًا بسبب فديته من الأسر التي دفعته في النهاية إلى العودة إليه ووفاته في لندن.

ثانيًا: كان البابا أوربان الخامس مثل غيره – كثيرين – من الباباوات في دعوته للحملة الصليبية، غير أنه تشابه كثيرًا مع البابا أوربان الثاني صاحب الدعوة للحرب الصليبية في عام

١٠٩٥م، لتشابه الظروف؛ فيما يعانيه الجنوب الفرنسي وإسبانيا وإيطاليا من الحروب الأهلية التي أفرزت تلك الجماعات التي قاست منها فرنسا، وعجزت السلطة البابوية عن كبح جماحها.

ثالثًا: ارتبطت فكرة الحملة الصليبية المزمع القيام بها بالسلام بين ملوك وأمراء الغرب الأوروبي، وانضمام الجماعات المأجورة وغيرهم للحملة المتجهة إلى الشرق، وذلك للتخلص من شرهم وإحلال الهدوء والسكينة لسكان الجنوب الفرنسي ومدنه وريفه.

رابعًا: يتضح من لقاء البابا وخطابه ودعوته للفرق المأجورة، لوقف نشاطهم العدائي ضد إخوانهم المسيحيين؛ لأنها تتسبب في أضرار فادحة للملكية الفرنسية وأملاك البابوية نفسها، واستخدامه لكافة وسائل الإقناع التي يعتبرها ذات تأثير قوي على الذين حضروا، موضحًا لهم أن هذه الحملة تلبي رغباتهم في السلب والنهب والتخريب والقتل، وهذه يدل على إدراك البابا بالضرورة الوعود المادية لتحريك همم من يرغب في ذلك من تلك الفرق، وفي ذلك يبدو أن البابا تناسى وعظ الكتاب المقدس بحب القريب وبحب الغير.

خامسًا: يهدف البابا إلى إبعاد الفرق المأجورة عن مسرح السياسة الأوروبية وتوجيه نشاطهم الحربي لخدمة الدين والكنيسة في الشرق ولوقف المنازعات في الغرب الأوروبي وتوجيه الطاقات القتالية ضد عدو غير مسيحي.

سادسًا: أعلن البابا منح كل المشاركين في الحملة بالغفران الكنسي لذنوبهم، وهذا الغفران ممنوح بموجب السلطة التي أسبغها الرب عليه، وهذا الغفران كان شكل إعفائي من التكفير عن الذنوب، وكان يعتمد في صلاحيته على التوبة الصادقة، ولم يكن هذا الغفران سوى إعلان رسمي أن الحرب الصليبية هي الفرصة السانحة لإعلان التوبة وكفيلة بأن تكون كفارة عن كل ما تقدم من ذنوب، وإعلان البابا عن الغفران الكنسي كان دافعًا قويًا للمشاركة في الحملات الصليبية منذ الدعوة لها في عام ١٠٩٥م، ومن ثم كان يروج له بشكل كبير.

سابعًا: لم تكن فكرة الغفران بجديدة ومبتدعة من البابا أوربان الخامس؛ فقد استخدمها البابا ألكسندر الثاني Alexander II (١٠٦١-١٠٧٣م)، عندما منح غفرانًا مشابهاً إلى كل من يحارب المسلمين في إسبانيا عام ١٠٦٣م، وكذلك البابا أوربان الثاني Urban بعد ذلك بثلاثين عاماً[١٧٦]، ولا يعرف إذا كان هذا الغفران الذي أعلنه أوربان الخامس غفرانًا كاملاً أم لا؛ لأنه إعفاء من الكفارات الدنيوية التي فرضتها الكنيسة فحسب ولم يعني الصفح الكامل عن كل العقوبات الدنيوية الواجب العقاب عليها في الآخرة.

ثامنًا: أشار البابا إلى حمل الصليب، وفقًا لتفسير المؤرخين لذلك أن الله يحمي حامل الصليب من كل شر، ويدل على أن حامله ينتمي إلى جماعة ذات تنظيم خاص، وإشارة إلى رغبة حاج في زيارة الأراضي المقدسة مع حصوله على حق حمل الأسلحة، كما كان رمز قانونيًا يضمن الامتيازات الدنيوية كاملة(١٧٧)؛ ولأن حمل الصليب ورد في تعاليم السيد المسيح: " إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني..(إنجيل لوقا٩: ٢٣)"، ولكن ذلك كان – وفق رؤية الباحث– فى الخير ومن أجله وليس من أجل الحرب.

تاسعًا: طلب البابا من رجال الدين أن يحثوا تلك الفرق المأجورة، وأن يبينوا لهم أن الذي يدعوهم هو الرب وليس البابا، وطلب منهم القيام بالوعظ في نطاق كنائسهم.

عاشرًا: كان هدف الحملة هو مساعدة الإمبراطور البيزنطي ضد الأتراك العثمانيين ووقف تيارهم الجارف لما يحمله معه من مباديء قد تنتشر في أوروبا، فتزعزع أركان المسيحية الكاثوليكية.

وعليه يمكن القول: إن خروج الفرق المأجورة في الحملة الصليبية كان حلماً يراود السلطتين الدينية والدنيوية، ذلك الحلم الذي بدأ منذ أمد بعيد، إنه حلم ثروات الشرق.

ونتيجة للعوامل المتعددة التي أدت إلى فشل المخططات البابوية والملكية الفرنسية فيما بين عامي ١٣٦٣ و١٣٦٤م في إقناع الفرق المأجورة للخروج في الحملة الصليبية للتخلص منهم بالوسائل السلمية بعدما تأكد فشل استخدام القوة العسكرية ضدهم، فجاء شهر مايو من عام ١٣٦٥م بزيارة من الإمبراطور الألماني شارل الرابع إلى البلاط البابوي في أفينيون حاملاً معه مشروع للتخلص من تلك الفرق المأجورة التي ألحقت أضرارًا جسيمة بفرنسا وعديد من الأقطار الأوروبية الأخرى، فاستقبل باحتفال كبير، ودارت مفاوضات سرية بينه وبين البابا أوربان الخامس هدفت إلى قيام الفرق المأجورة بتوجيه أسلحتها ضد الأتراك العثمانيين بدلاً من توجيهها ضد إخوانهم المسيحيين، وتتضح تفاصيل مشروعه في خطاب موجه من البابا أوروبان الخامس إلى الملك الفرنسي شارل الخامس مؤرخ بالتاسع من يونيو ١٣٦٥م وجاء فيه: «... إن ابننا العزيز شارل الإمبراطور الروماني وملك بوهيميا Bohemian جاء منذ أيام إلى الكرسي الرسولي وكشف عن نواياه المباركة في سبيل إقرار السلام والهدوء بين سائر الشعب المسيحي ... والقضاء على غير المؤمنين ... واستعادة الأراضي المقدسة ... فقررنا باتفاق الطرفين القضاء قضاءً مبرمًا على الفرق الآثمة التي تغزو مملكتكم، وكثيرًا من الشعوب المسيحية ...

باستغلالها وتوجيهها الوجهة الصحيحة طوعًا أو كرهًا إلى بلاد الأتراك أو غيرها من بلاد غير المؤمنين ...»[١٧٨]، وكان الدافع وراء هذه الحروب ضد المسلمين هو روح الفروسية والشعور بالخطر الذي يهدد العالم المسيحي من قبل الأتراك العثمانيين[١٧٩].

ويواصل البابا حديثه عن مشروع الإمبراطور الروماني: «... وقد اتفقنا نحن والإمبراطور إذا ما تم اتخاذ الطريق البري سوف يكون ضروريًّا ضمان موافقة الملك الهنغاري لويس الأول Louis I (١٣٤٢-١٣٨٢م) من أجل عبورهم ممتلكاته؛ لذا سيذهب المارشال الفرنسي أرنولف Arnoulf ليناقشه في ذلك ... وفي حالة عدم الموافقة، فرتبنا نحن والإمبراطور بحيث ينقل هؤلاء بحرًا إلى ما وراء البحار بسفن تابعة للبندقية ومدن تجارية إيطالية أخرى ... وتعهد الإمبراطور بإمداد هذه الفرق بالمؤن وهم يعبرون إمبراطوريته، فضلاً عن نصف دخل مملكة بوهيميا لمدة ثلاث سنوات لتغطية النفقات اللازمة ... وعليه قررنا اطلاعك ابننا الحبيب الملك شارل على ما تم لكي تمهد السبيل في مملكتك، وتتحرك فور عودة المارشال أرنولف برد الملك الهنغاري..." [١٨٠].

وفقًا لمخطط الإمبراطور شارل الرابع بدأ التحرك الدبلوماسي في فرنسا جنوبًا وشمالاً وأماكن أخرى في الغرب الأوروبي، واختير براتراند دي جوسلين – قبل مجيء الإمبراطور الألماني إلى أفينيون– قائدًا للفرق المأجورة التي أعدت نفسها لحملة صليبية على الشرق، لذا ما لبث براتراند في مايو ١٣٦٥م أن سافر إلى بلاط أمير ويلز Wales لإحضار المسئوولين الجاسكونيين للدخول في المفاوضات من أجل الحملة[١٨١]، في الوقت نفسه تحمس أرنو دي سيرفول لقيادة الحملة، فاستطاع قبل نهاية مايو إحضار عدد كبير من المأجورين، وصل عددهم إلى عشرين ألف رجل، وتلقوا جميعًا الغفران في مدينة ماكون Macon –خارج الحدود الألمانية– من أجل الحملة الصليبية، وعلى ما يبدو أن رد الملك الهنغاري وصل بالموافقة على عبور القوات الصليبية – المسافرة إلى شبه جزيرة البلقان– أراضيه لقتال الأتراك العثمانيين، ويوضح ذلك خطاب البابا المؤرخ بالعشرين من يونيو والموجهة إلى شارل الخامس، والذي يعلمه فيه بحصول كل هؤلاء المأجورين التابعين لأرنو دي سيرفول على غفران الحرب الصليبية، وأن مبالغ العشور المحصلة عند الملك تسلم لمندوب البابا المصاحب للحملة الصليبية[١٨٢]، وعليه فقد حُصلت عشور عامين من جميع الكنائس الفرنسية، لتدفع كنفقات لسفر الفرق المأجورة لقتال الأتراك ونصرة العقيدة الكاثوليكية فيما وراء البحار[١٨٣].

لكن حملة أرنو أثبتت خيبة أمل كبيرة ومريرة للسلطتين الدينية والدينيوية، فلم يكن أرنو قادرًا على كبح جماح هذا العدد الكبير من الجنود الذين تصرفوا بالشكل المألوف على هذه الفرق، حينما قاموا بإجبار ساربروك Saarbruck كونت مدينة ميتز Metz لإقتداء مدينته بدفع ثمانية عشر ألف فلورين، وأُجبرت ستراسبوج Strasbourg هي الأخرى على فداء نفسها، فجاءت هذه الأفعال بردة فعل من المقاطعات الألمانية عبر نهر الراين، فعارضوا فكرة السماح لتلك الجيوش عبور أراضيهم، واشتكى الإمبراطور الألماني لأرنو دي سيرفول ذلك، وأنه لم يعطيه الوقت لعمل التحضيرات الضرورية من أجل استقبالهم، وقام الإمبراطور بإعداد جيش كبير لإعاقة طريقهم، مما دفع أرنو إلى الانسحاب عبر المقاطعات الفرنسية إلى دوقية برجنديا(١٨٤)، وفشلت حملتهم ولم تكتمل مسيرتهم نتيجة لأطماعهم وما عرف عنهم من سلب ونهب وتخريب ونهم للمال.

في ظل هذا الفشل الذى منيَّ به البابا نتيجة لخيبة أمله فى حملة الفرق الماجورة تحت قيادة أرنو جاءته استغاثات من الشرق تطلب المساعدة، فعلى الرغم من اعترافه بسوء الأوضاع في الغرب نتيجة لما تقوم به تلك الفرق، إلا أنه أمل أن يرسل المساعدات إلى الشرق، وأعلن منح الغفران من الذنوب لهؤلاء الذين يحملون الصليب لنصرة مسيحي الشرق من بين تلك الفرق، ويتضح ذلك من خطابه إلى بطرس الأول ملك قبرص والمؤرخ بالثالث والعشرين من أكتوبر ١٣٦٦م(١٨٥)، وفي العام نفسه قاد أماديو السادس دي سافوي Amedeo VI de Savoie مشروع حملة صليبية، وكان مثله مثل ملك فرنسا، فأبدى التزامه فى البداية دون توخي الحذر، فعاق مشروعه مؤقتًا بعض الظروف في مقدمتها الفرق المأجورة التي تؤرق مملكة فرنسا، غير أن صلات القرابة التي تربطه بالتاج البيزنطي دفعته إلى الإصرار على قيادة حملة صليبية، فذهب إلى أفينيون لمقابلة البابا(١٨٦) الذي قام بإصدار عقوبات جديدة ضد الفرق المأجورة في مايو ١٣٦٦م، ربما لدفعهم للاشتراك في حملة أماديو والدخول في خدمته(١٨٧) وعلى ما يبدو أنه نجح في ذلك؛ لأن أماديو نجح في إعداد جيش على نفقته الخاصة باستئجار مجموعة منهم، بعدما فشلت محاولات إبعادهم عن فرنسا فيما بين عامي ١٣٦٣-١٣٦٥م(١٨٨) وكان أرنو دي سيرفول عنده مخطط لقيادة التعزيزات للحاق بأماديو وحملته، غير أنه قتل بالقرب من ماكون في الخامس والعشرين من مايو(١٨٩)، وكانت الحرب الأهلية الإسبانية التي

تجددت في فبراير ١٣٦٧م – التي سبق الحديث عنها– أبرز الأحداث لتفريغ مملكة فرنسا من تلك الفرق المأجورة(١٩٠).

خلق تصالح الإمبراطور البيزنطي – شتاء ١٣٦٩–١٣٧٠م– مع الكنيسة الغربية، شعورًا بالارتياح لدى الغرب الأوروبي من الفرق المأجورة، فأصبح مسموحًا بتجنيد أعداد منهم للدفاع عن أملاكه ضد السلطان العثماني، فطلبت جوانا دي نابولي Joanna de Naples – من البابوية – المساعدة من أجل مشروعها بتجنيد فرقة من بينهم للذهاب للخدمة تحت إمرة الإمبراطور البيزنطي، وتجهيز أسطول من السفن لنقلهم(١٩١)، وبوفاة البابا أوربان الخامس واعتلاء البابا جريجوري الحادي عشر Gregory XI (١٣٧٠– ١٣٧٨م)(١٩٢) وصلت أخبار مشجعة من الرهبان بالاضطرابات في المشرق الإسلامي؛ فأملت البابوية في عقد سلام بين مملكتي إنجلترا وفرنسا التي تجددت بينهم الحرب، فدخلوا في مفاوضات في بورجس انتهت بشكل مثمر، عندها سنحت فرصة عظيمة لاستخدام الفرق المأجورة وإرسالهم إلى الشرق(١٩٣)، وعلى أثر ذلك كتب إلى فيليب الثاني البرجندي Philipell de Burgundy (١٣٦٩–١٤٠٤م) خطابًا يعلمه بامتلاكه – أي البابا– لجيش من الرجال معد للذهاب في حملة صليبية تكون استفادتها مزدوجة للفرنسيين ومسيحي الشرق(١٩٤)، لعل البابا كان يهدف من وراء ذلك الخطاب أن يقوم دوق برجنديا بقيادة تلك الجموع إلى الشرق، أو ربما أراد دعم مالي من الدوق لتلك الحملة خاصة لما تمثله تلك الفرق المأجورة من خطورة على دوقيته أيضًا، فإبعادهم يأمن لأملاكه السلامة منهم، أياً كان السبب؛ فلم نسمع عن دور مؤثر لتلك الجيوش طيلة الفترة التالية.

وعليه يمكن القول أن آمال البابا جريجوري الحادي عشر لم تتحقق مطلقًا؛ لأن هؤلاء – الفرق المأجورة– الذين ارتكبوا من الجرائم المرعبة في مملكة فرنسا لا تطهر نفوسهم بتعهدات أو القتال في حرب مقدسة، غير أن هذه الأفكار كانت جانب من جوانب السياسة البابوية، توصف بأنها ساذجة؛ لأنها ارتكزت على التفسير الخاطيء لعقلية تلك الفرق، الأمر الذي يترتب عليه وفقًا لآراء مؤرخين أحدهم فرنسي والآخر إنجليزي أن تلك الجماعات لن تذهب في حرب صليبية؛ لأنهم كانوا بعيدين كل البعد عن الذهاب بالقوة أو الإجبار(١٩٥)، غير أن هذا الراي يترك تساؤل: هل سياسة البابا أوربان الخامس كان تبنى على سذاجة مفرطة أم مثالية زائدة؟ تلك السياسة التي قادته إلى تمني إرسال هؤلاء المأجورين للشرق لاستعادة الأراضي

المقدسة[١٩٦]؛ مما دفع أحد المؤرخين إلى القول: " بأن مشروع البابوية لإقناع تلك الفرق المأجورة للحاق بالحرب الصليبية كان وهمًا وأمراً يدعو للتسلية من البابا"[١٩٧]، وعلى الجانب الآخر يرى أحد المؤرخين أن الفرق المأجورة كان من بينها من اختار القتال في جبهة الحرب الصليبية في مملكة هنغاريا – ضد الدولة العثمانية – أو غرناطة – حيث مسلمي إسبانيا – ومنهم من اختار القتال في فرنسا وإيطاليا؛ فضلاً عن الحماسة الدينية المثارة في نفوسهم من كون مملكة هنغاريا كمسرح للحرب الصليبية[١٩٨]؛ لذا يمكن القول أن البابوية من جانبها كانت تأمل في إعادة الروح الصليبية إلى سابق عهدها، وأن نيتها كانت بارزة فى خطابات البابا أوربان الخامس.

بالطبع كانت الوعود بالذهاب إلي الحرب الصليبية وما يترتب عليها من تدبير الإعانات المالية الخاصة بالرحلة، تلك كانت واحدة من سلسلة الأنشطة الطبيعية للفرق المأجورة، وهناك إشارة توضح ذلك ببساطة، هو ما كتبته القديسة كاثرين St. Catherine إلى يوحنا هوكوود لتوبيخه على خداعه، وعدم احترامه لوعوده: «أنا أتعجب كثيرًا من ذلك أنت أكدت أنك كنت تنتوي الذهاب والموت من أجل المسيح في الرحلة المقدسة أو ذلك ما سمعناه، إلا إنك الآن تريد افتعال حرب هنا»[١٩٩].

وعليه يتضح أنا السياسة البابوية لم تكن ترتكز على عدم واقعية المقدمات المنطقية، من أجل تحجيم النهب والتخريب في مملكة فرنسا والحصول على خدمة عديمة الجدوى في قضية الحرب الصليبية وامتلكت –البابوية– مبالغة شديدة في تبسيط رؤيتها للقضية، فهي لم تضع في حسبنها الأفكار المعقدة للفرق المأجورة وطبيعة الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي[٢٠٠]، فقد غاب عنها أن المشاركة في الحروب الصليبية عمل احتفظ بالطابع الحقيقي – في جوهره – وثقافة الاستعانة بهم، وأساليب عقاب الكنيسة لهم جعلته أمرًا للمساومة؛ فقد كان الغفران من الذنوب واحدًا من المطالب في حادثة جسر روح القدس ١٣٦١م، وكذلك واحداً من الشروط – الإعفاء من آثام الماضي– التي وضعت من سيجون بيدفول من أجل الانسحاب من مدينة آنسي Anse ١٣٦٥م[٢٠١]، وفي العام نفسه طلبت الفرق المأجورة – التي تجمعت من أجل الحرب في إسبانيا– غفراناً عاماً، وفي عام ١٣٦٦م أعاد روبرت كونولوز Robert Knolles الفدية المستحقة له من مدينة أوكسير Auxerre كجزء من تعهد البابا أوروبان الخامس له بالغفران من الذنوب[٢٠٢]، وفي شهر مايو من العام نفسه سحب البابا الغفران الذي كان قد منحه مؤخرًا لفرقة من المأجورين، غير أنهم راحوا يرتكبون جرائم

جديدة[٢٠٣]، وفوق هذا وذاك العشور التى كانت تستخدم في إبعاد الفرق المأجورة حينما كانت تمثل تهديدًا كبيرًا للبابوية مثلما كانت في فرنسا، فقد حصل برنارد دي جوسلين بحجة محاربة الفرق المأجورة لصالح البابوية من البابا أوربان الخامس عام ١٣٦٥م، ليس فقط على الإعفاء من العشور لأقاليم البابوية حتى تور ولكن أيضاً التبرعات الهائلة التي وصلت دون مبالغة لمائتي ألف مارك[٢٠٤] أياً كان الأمر فالقتال في الحرب الصليبية كان مظهراً من مظاهر الشجاعة في الحياة التي أملتها الفرق المأجورة[٢٠٥].

كانت الحرب الصليبية يمكن أن تقدم أرباحًا مادية؛ بالإضافة إلى منح روحانية واحترام المجتمع، فهي بذلك تجني الغنيمة السماوية والأرضية[٢٠٦]، والدليل على ذلك ملك قبرص وأماديو دي سافوي في حملتيهما عرضوا رواتب فيما يتعلق بالانضمام لجيوشهم، وكان هناك أيضاً فرص للنهب إلى حد بعيد – خاصة– في حملة ملك قبرص، باعتبارها غنيمة قانونية امتلكت نتيجة لحرب فعلية، فكانت وسيلة لتقليل النهب الحاصل في فرنسا بعد معاهدة بريتيني عام١٣٦٠م[٢٠٧]، وبالنظر والتدقيق في أسلوب الربح، يمكن القول أن الحرب الصليبية لم تكن دائمًا مربحة لأصحابها كما كانت في الإسكندرية عام ١٣٦٥م، غير أنها كانت البديل الجذاب – لأوقات السلام– للسلب في الغرب[٢٠٨].

لم تكن الفكرة الصليبية عند الفرق المأجورة سيئة، غير أنها كانت تفتقر للحماس من أجل الحرب المقدسة والمغامرات الخارجية، فاستمرار الحروب الصليبية يضمن لهم استمرارية في الدفع والغنيمة، إلا أن الحروب الصليبية في الشرق كانت سريعة ومتباعدة جدًا، ورغم ذلك كانت محاولة استخدامهم تواجه بمشاكل كثيرة منها التمويل والسيطرة عليهم[٢٠٩]، إلا أنها كانت الطريق الأفضل لتخليص مملكة فرنسا منهم، غير أن البحث في السياسة البابوية تجاه تلك الفرق يوضح أنها لم تكن واقعية – كما اتضح سلفًا– واتسمت بالضعف، فمستشارين البابوية فشلوا بعنادهم في قياسهم للأساليب الملائمة لجذب هذا العدد الهائل من الرجال[٢١٠]، غير أن الأمر ليس كذلك؛ فقد غاب عن أصحاب تلك الآراء أن البابوية وهي السلطة التي لم تمتلك قوة عسكرية لتحارب أعدائها وتعتمد في ذلك على أصدقائها في مملكة فرنسا أو إيطاليا أو ممالك الغرب الأوروبي ككل، فالنظر إلى وضعية هذا الغرب يتضح ضعف مملكة فرنسا نتيجة الضربات المتلاحقة من مملكة إنجلترا، وضياع جزء كبير للغاية من أملاكها، أما إيطاليا فتعاني أيضًا من صراع داخلي بين الفيسكونتات وانتشار الفرق المأجورة فيها بشكل كبير وبالنسبة

لإنجلترا؛ فقد خرجت من حربها مع فرنسا بعد عام ١٣٦٠م في حالة إنهاك كامل لا تستطيع معه تقديم شيء للسلطة البابوية. أما إسبانيا المسيحية فقد كانت تعاني من حروب أهلية بين ممالكها وأخيراً ألمانيا قدمت مشروع الحملة الصليبية للتخلص من تلك الفرق.

وعليه يمكن القول إنَّ السلطتين الدينية والدنيوية حاولا بكل الطرق التخلص من تلك الفرق غير أنهم فشلوا للطبيعة العسكرية التي تمرسَّت عليها الفرق المأجورة في جنوب فرنسا، وهو المكان – المعلب – الذي مارسوا فيه الحرب منذ عملهم في حرب المائة عام، ويعرفون نقاط قوته ونقاط ضعفه، ويعرفون أماكن الغنى وأماكن الفقر؛ لذا كانوا يروحون إلى أماكن بعيدة ثم يعودون إلى هذا المكان المناسب لطبيعتهم والذي يعطيهم القدرة على البقاء، كما يجب أن ندرك أن هذه الفرق لم يكن يعنيها في المقام الأول غفران ذنوبها بقدر ما يعنيها كم ستكسب، فخلاص الروح لا قيمة له عندهم، فهم أهل دنيا ولدوا وعاشوا من أجل النهب والسلب، وهذا ما كان يجب على البابوية إدراكه، بأنهم لا علاقة لهم بالدين، فأناس على هذه الشاكلة لن تكون الحروب الصليبية في بؤرة اهتمامتهم.

وفى النهاية يتضح للقارىء عدة نتائج مهمة تتعلق بطرفي الصراع السلطتين الدينية والعلمانية والفرق المأجورة، أما ما يتعلق بالسلطتين البابوية ومملكة فرنسا فأهمها:-

أن حالة المجتمع الأوروبي في القرن الرابع عشر الميلادي أصبحت بيئة خصبة لنشأة تلك الفرق نتيجة للصراع الدائر بين القوى السياسية فيه، وكذلك المحلية داخل البلد الواحد، جلبت معها جنوداً مأجورين كثيرين كوَّنوا فرقاً كانت وبالاً على الغرب الأوروبي بصفة عامة والبابوية ومملكة فرنسا بصفة خاصة بعد معاهدة بريتني؛ زاد منها حالة الانهيار الاقتصادي التي دفعت الكثيرين للعمل كمأجورين في الحرب للحصول على أعلى المكاسب المادية من أجل العيش، فضلاً عن وجود السلطة الدينية العليا في أفينيون، وبُعدها عن كنيسة القديس بطرس في روما، نزعت من قلوب العامة والخاصة هيبتها في وقت فقدت فيه سندها العسكري – مملكة فرنسا– الذي وجه جهوده في صراعه مع مملكة إنجلترا.

فحالة مملكة فرنسا السياسية وما تتلقاه من ضربات من مملكة إنجلترا جعل منها أرضاً خصبة ومسرحاً أمناً لنمو تلك الفرق مثلها في ذلك مثل إيطاليا التي تنتشر فيها الصراعات الدخلية، بالإضافة إلى التدريب العسكري الجيد والكثرة والانتشار للفرق المأجورة جعل من التصدي لهم عسكرياً أمراً غاية في الصعوبة أحست به السلطتين الدينية والعلمانية على حد

سواء، فبدأ التفكير في وسائل أخرى للتخلص منها، فظهرت فكرة استغلالهم في الحروب الصليبية ضد المسلمين غرباً في غرناطة وشرقاً الأتراك العثمانيين غير أن مجموعة عوامل تتعلق بشخصية البابوات والملوك وكذلك الأفكار السياسية للفرق المأجورة أدت في النهاية إلى فشل تلك المحاولات.

خسرت السلطتان الدينية والعلمانية الكثير جراء مواجهة تلك الفرق، وبعدما فشلت محاولة الأبعاد، حاولت البابوية استغلال كافة أسلحتها لوقف أفعالهم وتهديداتهم للغرب الأوروبي فمنح غفران الحرب الصليبية من أجل قتالهم لم يخدم أغراضها في مناسبات عديدة لأنه صادر عن الفكر البابوي المعزول عن المشاعر الشعبية، على الرغم من من مشاركة ملوك فرنسا والإمبراطور الألماني للبايوية؛ مما يدل دلالة واضحة على عظم المشكلة، والقلق الدائم من انتشارها، وما يتبعها من تخريب ودمار.

نظرت البابوية للفرق المأجورة نظرة نفعية؛ فحينما تقاتل لجانبها تكون ممدوحة بكينونة لاعب الرب وفرسان العقيدة المسيحية، وإذا ما قاتلت ضدها أطلقت عليهم أبناء الخطيئة.

أما ما يتعلق بالفرق المأجورة، كان العمل داخل نطاقها يدر دخلا يفوق أي عمل آخر؛ لذا كان عليها إقبالاً شديداً من قبل المقاتلين داخل الأراضي الأوروبية؛ لما يعانيه الغرب الأوروبي اقتصاديا، ففي حالة غياب الحرب وما يصحبها من انقطاع الأجور، تصبح أعمال السرقة والتخريب والأغتصاب أسلوب اعتادوا عليه وأصبح موسوما بهم، بالإضافة إلى التنظيم العسكري والإداري داخل هذه الفرق خلق لهم تفوقاً عسكريا على السلطتين الدينية والعلمانية اللتين يمران بحالة من الضعف، زاد منها الأسلوب الذى تمرسوا عليه– الفرق المأجورة– والأفكار السياسية التي تربوا عليها خلقت عندهم حالة من الغضب تجاه المجتمع، فاتبعوا أسلوب التدمير والسرقة والنهب، ولم يستجيبوا لمحاولات الإبعاد من قبل السلطتين الدينية والدينيوية .

المعارك التي قاتل فيها المأجورون لم تكن أبدا حاسمة فبالمعاهدات المتبادلة حاول القادة الحصول على أعلى المكاسب وتقليل الخسائر والنفقات في القتال.

ومن هذه الإشارات حول هذه الفرق نستطيع معرفة أن ١٦٦ من قادة هذه الفرق قادوها في فرنسا طوال عشر سنوات من١٣٦٠م وما بعدها، واحد وتسعين من هؤلاء أشير إليهم في المصادر المعاصرة، وثمانية منهم قتلوا في أرض المعركة، وواحد قُتل بالسُم، وواحد كان ممقوتًا،

وعليه يمكن القول بأن الفرق المأجورة ربما بلغ عددها واحد وتسعين فرقة كبيرة داخل مملكة فرنسا امتلكت تنظيمات إدارية وعسكرية.

وعليه توصي الدراسة بالاهتمام بدراسة تلك الفرق في الغرب الأوروبي لما كانت تمثله من ضغوط على السلطتين العلمانية والدينية فى جميع أنحاء أوروبا؛ مما ترتب عليها آثار سياسية بالغة.

قائمة الاختصارات الواردة فى حواشى البحث

ann, Annus.

BEC: Bibliothèque de l'École des Chartes.

no: Number .

nos: Numbers .

note: Footnote.

الهوامش

(1) Housley, N., "The Mercenary Companies, The Papcy and the Crusades, 1356-1378", ***Traditio*** 38 (1982), pp. 253-280.

انصبت هذه الدراسة على محاولات البابوية توجيه طاقات الفرق المأجورة - التي بدأت تنتشر بعد إحلال السلام بين إنجلترا وفرنسا- إلى حقل الحروب الصليبية في الشرق والغرب على حدٍ سواء.

(2) Fowler, K., *Medieval Mercenaries*, Vol I: *The Great Companies*, Oxford & Blackwell, 2001.

سلطت هذه الدراسة الضوء على الفروق بين المأجورين الحقيقيين معتمدًا في ذلك على تقييد إخلاصهم، وكذلك على أدوارهم في فترات زمنية مختلفة خاصَّة في إيطاليا، والتي لعبوا دورًا كبيرًا في سياستها فى الفترة محل الدراسة؛ فضلاً عن ذلك ما قاله فولر نفسه بأنه سيلقي الضوء على أنشطة الإنجليز والبريتون والجاسكونين المأجورين في إيطاليا من ١٣٦١-١٣٩٤م وعنايته الخاصة ستميل إلى سيرة يوحنا هوكوود John Hawkwood.

(3) France, J. (ed.) *Mercenaries and Paid Men: the Mercenary Identity in the Middle Ages*, Leiden: Brill, 2008.

هذا المؤلف يضم اثنان وعشرون مقالة تتعلق جميعها بالمأجورين عبر التاريخ إلا أنه لا يوجد من بينها أية مقالة تمس موضوع البحث من قريب أو بعيد.

(4) Mallett, M., *Mercenaries and their Masters: Warfare in Renaissance Italy*, Barnsly: Pen & Sword Military, 2009.

هذه الدراسة فتحت الطريق لمعظم المؤرخين المهتمين للتأريخ للتاريخ العسكري الإيطالي في العصور الوسطى، فقد قدمت كثير من المادة العلمية في فترات زمنية طويلة حول المأجورين وسادتهم، خاصةً في إيطاليا.

وللمؤلف مقالة أخرى جاءت تحت عنوان:

Mallet, M., "Mercenaries", In M. Keen (ed.), *Medieval Warfare: A History*, Oxford University Press, 1999, pp. 209-229.

تناول فيها المؤرخ تاريخ الجماعات المرتزقة بشكل عام من القرن التاسع الميلادي حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي.

(5) Allmand, Ch., *The Hundered years War England and France at War c. 1300 – c. 1450,* Cambridge, 2001, p.57.

(6) Mallett (1999), *Mercenaries*, p.209.

(7) Janin, H. & Carlson, U., *Mercenaries in Medieval and Renaissance Europe*, London, 2013, pp.117-118.

(8) Allmand, *The Hundered years War*, p. 56.

(9) Janin, *Mercenaries*, pp. 117-118.

(١٠) جاءت هذه الصورة نتيجة لجشعهم وسلوكهم المجرد من المباديء تجاه القانون وعصيانهم الواضح. راجع:

Allmand, *The Hundered*, p. 57.

(11) Wright, N., *Knights and Peasants: the Hundred years war in the French countryside*, Boydell, 2000, p. 57.

(12) John Froissart, *The Chronicle of Froissart*, trans. by Sir John Bourchier, with introd. by. P. William, 6 Vols., London, 1901, Vol. III, p. 70.

ويقال هذا لأنهم كانوا قد نهبوا المؤن في الأقاليم التي نهبت من قبل من مأجورين آخرين. راجع:-

Janin, *Mercenaries*, p.119.

(13) Fowler, *Medieval Mercenaries*, pp. 2-3.

(14) Allmand, *The Hundered*, p. 57.

(١٥) أوربان الخامس، هوليم دى جريموار Guillaume de Grimoard ، ولد عام ١٣١٠م فى قلعة جريساك Grisac من أسرة نبيلة، وبعدما أتم دراسته فى مونبيليه Montpellier وتولوز، أصبح راهباً بندكتياً فى دير القديس فيكتور St. Victor، وبعد حصوله على الدكتوراة ١٣٤٢م،عمل مدرسا لمبادى القانون فى مونبيله وأفينيون، ثم رئيساً لدير القديس جيرمين St. Germain ١٣٥٢م، ثم رئيسا لدير القديس فيكتور ١٣٦٢م،وفى أعوام ١٣٥٢، ١٣٥٤، ١٣٦٠، ١٣٦٢م، كان موفدا رسميا من قبل البابا لمناقشة بعض المسائل السياسية فى ايطاليا. راجع:-

Kelly. J. N.O., *The Oxford Dictionary of Popes*, Oxford, 1996, pp.223-225.

(16 *)Acta Urbani PP. V* (1362-1370), *E Regestis Vaticanis Aliisque Fontibus collegit Aloysius L. Tautu, E Pontificia Commissione ad Redigendum C.I.C.O.* Typis Pontificiae Universitatis Gregorianae, Rome,1964, no. 240, p. 247; Raynaldi, O., et Jac. Laderchii, *Annales Ecclesiastici Denuo et Accurate Excusi*, 27 Tomes, Paris, 1880, Tome 26, no.2, pp.103-104.

(17) Bellaguet, M.L. (ed.), *Chronique du Religieux de saint- Denys*, 4 Tomes, Paris, 1840, Tome IV, pp.537-538.

(18) Denifle, H., La *désolation des eglises*, *monastéres et hopitaux en France*, 2 Tomes, Paris, 1897-1899, Tome II, pp.450-451.

(19) Muhlberger Steven, "Deeds of Arms: Collection of formal Deeds of Arms of theFourteenth Century"*http://www.nipissingu.ca/department/history/muhlberger/chroniqu/texts/thirty.htm.Accessed 29 March 2012*, pp.1-2; Diverres, A.H. (ed.), *Froissart: voyage en Béarn*, Manchester University Press, 1953, p. 118.

(20) Allmand, *The Hundered*, p. 57.

(21) Fowler, *Medieval Mercenaries*, p. 2.

(22) Paz, C.A.G., "The Role of Mercenary Troops in Spain in The Fourteenth Century: The Civil War", In *Mercenaries and Paid Men the Mercenary Identity in the Middle Ages*, ed. J. France, Leiden, Brill, 2008, p. 337.

(23) Janin, *Mercenaries*, p. 23.

(24) Caferro William, *Johan Hawkwood: An English Mercenary in Fourteenth-*

Century Italy, Baltimore, 2006, p. 48.
(25) Fowler, *Medieval Mercenaries*, p. 48.
(26) Caferro, *Johan Hawkwood*, p. 48.
(27) Caferro, *Johan Hawkwood*, p. 75; Janin, *Mercenaries*, p. 122.
(28) Caferro, *John Hawkwood*, p. 75; Janin, *Mercenaries*, p. 125.
(٢٩) على سبيل المثال في عام ١٣٦٥م، كان الناس في مقاطعة ألبي Albi والمدن المجاورة غاضبين لإيجادهم راهبًا يعمل كأمين صندوق للفرقة المرتزقة التي اقتحمت قلاعهم.راجع: - Housley, *Mercenary*, p. 254, note. (5).
(30) Caferro, *John Hawkwood*, pp. 338-340; Janin, *Mercenaries*, pp. 122-123.
(٣١) كان بإمكان الملكيات الإقطاعية أن تجند جنودًا مأجورين بأعداد كبيرة، وهكذا ففي سياق حرب المائة عام جندت سرايا من أواسط النبلاء الفقراء أو من هؤلاء الذين ولدوا من ولادة غير شرعية ومن عالم المغامرين الساقطين. راجع: نور الدين حاطوم، *تاريخ العصر الوسيط في أوربة*، جزءان، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٣، ج ٢، ص ٣٦٩.
(٣٢) في القرن الخامس عشر الميلادي هيمن العنصر الإيطالي كقادة وجنود، وزجوا بأنفسهم بصورة وثيقة بالدسائس والمكائد السياسية الإيطالية وباتوا ينتقلون من معسكر إلى آخر، وهكذا الحرب تتولد دون انقطاع. راجع:- نور الدين حاطوم، *تاريخ العصر الوسيط*، ج ٢، ص ٥٦٢.
(33) Allmand, *The Hundered*, p. 57.
(٣٤) عن معاهدة بريتني راجع:-
Delachenal, R., *Histoire de Charles V*, *Tome II (1355-1364)*, Paris, 1909, pp. 193-228.
(٣٥) سيتم تناول أحداث ١٣٥٧م كمقدمة لأفعالهم في مملكة فرنسا بعد صفحات قليلة.
(36) Mollat, G., *The Popes at Avignon 1305-1378*, Trans. By Janet Love From the ninth French edition, New York, 1965, p.50.
(٣٧) نور الدين حاطوم، *تاريخ العصر الوسيط*، ج ٢، ص ٣٧١.
(٣٨) جاء هذا الكلام على لسان باسكو دي موليو Bascot de Mauléon أحد قادة الجماعات المأجورة أثناء لقائه مع فرويسارت Froissart، ويؤكد على أن من بين هذا العدد كان هناك ثلاثة أو أربعة آلاف من الرجال جيدين في النواحي العسكرية ومؤهلين لأن يكونوا النواة الأساسية لتنفيذ الخطط المستقبلية. راجع:- Froissart, *The Chronicle*, Vol. IV, p. 152.
(٣٩) برجنديا: دوقية فرنسية، وهى برجونى Bourgogne قديمًا. تميزت بشهرة عظيمة منذ أن فتحت من قبل يوليوس قيصرJuliusCeasar وفى القرن الخامس الميلادى دخلتها الشعوب الألمانية الذين كوّنوًا مملكة برجنديا، وهى تشمل مدن هامة من أهمها آن Ain وسوان Soone وكوت Cote ودورDor :
Moore, W.G., *The Penguin Encyclopedia of places,* New York, 1978, p.134.
(٤٠) إدوارد الثالث، إدوارد الثالث هو أصغر أبناء إدوارد الثاني Edward II (١٢٧١-١٣٢٧م) وإيزابيلا دى فرانس Isabella de France، ولد في الثالث عشر من نوفمبر ١٣١٢م، واعتلى العرش بعد وفاة والده عام ١٣٢٧م، وتوفيّ في مقاطعة شين Shene (الآن ريشموند Richmond) في الحادي والعشرين من يونية عام ١٣٧٧م، ودفن في مقاطعة ويستمنستر Westminster. للمزيد يراجع:
Stubbs , W., *Annals of England: An Epitome of English History*, London, 1876, pp. 187-188.
(٤١) جاسكوني، إقليم سابق فى جنوب غرب فرنسا يحده من الجنوب جبال البرينييه Pyrenees وخليج بسكاى Biscay من الغرب، كان يتبع مقاطعة أكوتين Aquitaine ، الآن يشتمل على جزء من جيرس Gers. راجع:-
Moore, *The Penguin*, p. 298.

(42) Allmand, C.T., *Society at War. The Experience of England and France during the Hundred Years War*, Edinburgh, 1973, pp. 92-93; Keen, M.H., *The Law of War in the Later Middle Ages*, London, 1965, p. 93.
(43) Housley, *Mercenary*, p. 255.
(44) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 378-393.
(45) *Act Urban V*, no. 251, pp. 217, 277.
(46) Housley, *Mercenary*, p. 255.

(٤٧) كانت إيطاليا إحدى النماذج المهمة التي انتشرت فيها الفرق المأجورة، منذ العقود الأولى من القرن الرابع عشر الميلادي، وكانت حياة هذه الفرق قصيرة؛ لأن القتال لم يكن متواصلاً إلى حد كبير، لتزويدهم بأعمال ثابتة حتى نجحت البابوية في استجارهم فيما بين عامي ١٣٥٣-١٣٦٠م. للمزيد حول نشاطهم هناك راجع:-
Partner, P., *The Lands of St. Peter. The Papal State in the Middle Ages and the Early Renaissance*, London, 1972, pp.339-365.

(٤٨) بوردو مدينة فرنسية تقع على ضفاف نهر الجارون Garone وعلى بعد ستة وتسعين كيلومترا من البحر. وهي ميناء نهري رئيس في الجنوب الغربي من فرنسا. كانت مركزًا تجاريًا مهمًا في العصور الرومانية. وفي القرن الرابع الميلادي أصبحت عاصمة لأقطانيا. ولقد أطلق عليها الجغرافيون العرب اسم "برذيل" راجع:- إينهارد، *سيرة شارلمان*، ترجمة وتقديم وتعليق د/ عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٩م، ص١٥٧، (حاشية ٢).

(٤٩) أنوسنت السادس: هو إتيان إيبرت Etienne Aubert ، ولد فى عام ١٢٨٢م، فى مقاطعة مونس Monts بالقرب من بامبادور Pampadour ، بدأ حياته العملية كأستاذٍ للقانون فى تولوز، ثم رئيساً لقضاة المدينة نفسها، ثم أسقف لنيون Noyon عام ١٣٣٨م، ثم كليرمونت Clermont عام ١٣٤٠م، ثم حصل على لقب الكاهن الرئيس Cardinal Pries من قِبل صديق طفولته البابا كليمنت السادس، ثم أصبح كاردينالاً لمدينة أوستيا Ostia عام ١٣٥٢م. راجع:-
Kelly, *The Oxford Dictionary of Popes*, pp.221-23.

(50) Mollat, *The Popes*, p. 49.

(٥١) أفينيون، مدينة فرنسية تاريخية، تقع على الضفة اليسرى لنهر الرون Rhône على بعد ٩١ كيلو متر شمال وشمال غرب مارسيليا Marseille. راجع:- Moore, *The Penguin,* p. 66.

(٥٢) من أهم القادة للفرق المأجورة في فرنسا "سيجيو باديفول Seguin Badefol، وبرتراند دي جوسلين Bertrand du Guesclins وأرنو دي سيرفول الملقب برئيس القساوسة Archpriêst"، أما في إيطاليا فظهر "ألبرت ستيرز Albert Sterz، وفرا موريال Fra Moriale ويوحنا هوكوود". عنهم راجع:
Chérest, A., *L' archiprêtre*, *épisodes de la guerre de cent ans au XIVe siécle*, Paris, 1879, p. ???; Mallett, *Mercenaries and their Masters*, pp.25-50; De Frevill, E., "Des grandes compagnies au quatorziéme siécle", ***BEC*** 3 (1842), pp. 258-281.

(٥٣) بروفانس: مقاطعة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا مع حدود إيطاليا من الشرق. والبحر المتوسط من الجنوب. ونهر الرون من الغرب.راجع:- Moore, *The Penguin* , p. 634.

(٥٤) كان الفلورين والدوكات في تلك الفترة بنفس القيمة تقريبًا، إذ كان الفلورين الواحد يشتري برملين من النبيذ الأحمر أو ومائة وعشرة أرطال من اللحم. راجع:

- Mallett, *Mercenaries and their Masters*, p. 136.

(55) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp.188-192; Chérest, *L' archiprêtre*, pp.30-64; Mollat, *The Popes,* pp. 49-50.

(56) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp.179-181.
(57) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 376-378.
(58) Housley, *Mercenaries*, p. 256.
(٥٩) نهر الرون يعد من أهم أنهار جنوب أوروبا، ويتجه جنوبًا من منابعه الألبية في سويسرا؛ ليصب في خليج ليون في البحر المتوسط، ويبلغ طول مجراه حوالي ثمانمائة كيلو مترا، منها خمسمائة وثمانية عشر كيلو مترا من طول مجراه في فرنسا، وباقي المسافة مائتان واثنان وثمانون كيلو مترا في سويسرا. راجع:- Moore, *The Penguin,*p.652-653.
(60) Froissart, *The Chronicle*, Vol. 2, p. 86; Baluzius, S. & Mollat. G.(eds.), *Vitae paparum Avenionensium, Hoc Est Historia pontificum, Romanorum qui in Gallia Sederunt Ab Anno Christi MCCCV U Sque ad Annum MCCCIV*, 4 Tomes, Paris , 1914, Tome 1, p. 323; Mollat, *The Popes*, p. 50.
(61) Froissart, *The Chronicle*, Vol. 2, pp. 86-87; Mollat, *The Popes*, p. 50; Delachenal, *Histoire de Charles V*, Tome 2, pp. 316-317.
كانت مخاوف البابوية ليس فقط لخراب محيط أفينيون، ولكن لتعرض خط الامداد البابوي للخطر والقبض المستمر على رجال الدين والمصرفيين وعمال الخدم من وإلى أفينيون. راجع:-
Janin, *Mercenaries*, pp.120-121.
(62) Froissart, *The Chronicle*,Vol. 2, pp. 86-87.
والواضح أن هذا الفكر كان من مباديء الفرق المأجورة، ويوضحه رد يوحنا هوكوود على رهبان تمنوا له السلام: "أتريدون من الله أن يميتني جوعًا، أنني أعيش من الحرب كما تعيشون من الصدقات". راجع: نور الدين حاطوم، *تاريخ العصر الوسيط*، ج ٢، ص ٣٩٩.
(٦٣) جاءت هذه المساعدات من مملكة أراجون وإقليم لانجدوك Languedoc وبيوكير وجيودان Gevaudan وفالي Velay وفواريه Vivaris وأيضًا يوحنا فراندیز دي هرديا Fernandez de John Heredia صاحب قلعة أيمبوست Emposte. راجع:
Mollat, *The Popes*, p. 50.
(64) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 196-397.
(65) Mollat, *The Popes*, p. 50.
(66) Froissart, *The Chronicle*, Vol. 2, pp. 88-89; Housley, *Mercenary*, p. 263.
(67) Baluzius & Mollat, *Vitae paparum,* Tome 1, p. 340.
(68) Baluzius & Mollat, *Vitae paparum,* Tome 1, p. 327, 340; Tome 2, p. 490;
(69) Mollat, *The Papes*, p. 51.
(70) Renouard, Y., *The Avignon Papacy 1305-1405*, trans. D. Bethell, London, 1970, pp. 34-35.
(71) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 489-90; Housley, *Mercenary*, p. 256-57.
(72) Housley, *Mercenary*, pp. 267-268.
(73) Keen, *The Laws*, p. 95.
(٧٤) لمزيدمن التفاصيل راجع:-
Janin, *Mercenaries*, pp.130-131.
Delachenal, *Histoire de Charles V*, Tome 2, pp. 315-322;
(75) Janin, *Mercenaries*, p. 111.
(٧٦) ليون، مدينة فرنسية، كانت تعرف قديماً باسم Lugdunum ، وكانت عاصمة إقليم الرون، وثالث أكبر مدينة فرنسية، تقع عند ملتقى نهر الرون بنهر السأوون Saône. راجع
Moore, *The Penguin,* p.477.
(77) Janin, *Mercenaries*, pp. 128-129.

(78) Fowler, *Medieval Mercenaries*, p. 48.
(79) Allmand, *Society at War*, pp.45-57.
(٨٠) عن الضرائب الملكية الفرنسية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. راجع:
Henneman, J.B., *Royal Taxation in Fourteenth century France*; *The Captivity and Ransom of John II, 1356-1370*, Philadelphia, 1976, pp.2-3, 258, 297-298.
(81) Michel, R., "Les defenseurs des Chateaux et des Villes Fortes dans le Comtat – Venaissin aux IVe siècle", ***BEC*** 76 (1915), pp. 315-330.
(82) Henneman, *Royal Taxation*, pp. 161-205.
(83) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 441-442.
(84) Wright, *Knights and Peasants*, p. 6.
(85) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 445-448.
(٨٦) حوض الساؤون: هو جزء في النصف الشرقي من فرنسا، يقع في مقاطعة برجنديا، مساحته ٨,٥٦٥ كيلو متر مربع، يحده من الغرب اللوار Loire ويمتد شرقًا إلى ما وراء الساؤون داخل بريسي Bresse. راجع:- Moore, *The Penguin*, p.695.
(87) Pape Urban V, *Letters secrétes et curiales se rapportant a la France*, ed., P. Lecacheux et G.Mollat; Paris, 1902-1955, no.1514; Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 420-426.
جاء خطاب البابا مطابقا لما ورد فى القانون رقم ٢٧ في مجمع اللاتيران الثالث ١١٧٩م، والذى ينص على عقوبة اللعن والعزل من المجتمع المسيحي للهراطقة وقطاع الطرق، بألا يصلى عليهم في الكنائس، وتصبح ممتلكاتهم حلالاً للمؤمنين، و يصبحون عبيداً لمن يأسرهم، وأن من يمت وهو يدافع عن المسيحية ضدهم، يمنح غفراناً لمدة عامين ويخضع لحماية الكنيسة راجع:-
Mansi , J.D., *Sacrorum Conciliorum Nova et Amplissima Collectio*, 53 Tomes, Austria, 1960 – 1963, Tome 23, pp. 231-233.
(٨٨) راجع خطاب البابا في: Prou, M., *Etude sur le relations politiques du pape Urbain V avec les rois de France Jean II et Charles V*, Paris, 1888, p.111.
(٨٩) راجع خطاب البابا في:
Prou, *Etude*, pp.114-115.
(90) Housley, *Mercenary*, p. 272.
(91) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp, 443-448; *Acta Urbani V*, no. 251, p.217, no.261, p. 299.
(92) Raynaldi, *Ann. Eccles*, Tome 26, ann. 1365, p. 110; Fréville, *Des grandes*, p. 270.
(٩٣) تم عرض هذا المرسوم في أفينيون وكنائس تولوز Toulouse، وآرلس Arles ونربون Narbonne وأوش Auch وبوي Puy وألبي Albi وفابري Vabres وكاستري Castres. راجع:
Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 445-446 note (1); Christophé, J.B., *Histoire de la papauté pendant le XIV siècle*, 2 Tomes, Paris, 1853, Tome 2, pp. 350-351.
(94) Urban V, *Lettres secrétes*, no. 989.

(٩٥) تولوز كونتية فرنسية، وهى تولوزا Tolosa قديمًا، تقع ضمن نطاق إقليم لانجدوك على نهر الجارون Garonne وقناة دي ميد du Midi.راجع:-
Moore, *The Penguin* , p.790.

(96) *Acta Urbani V*, no. 247, p.242; Devic, C and J. Vaissete, "Histoire generale de Languedoc", VII, ed. A. Molinier, Toulouse, 1840, pp. 240-241.

في الوقت نفسه منح البابا غفرانًا جديدًا كان مشابهاً إلى حد كبير لقرارات البابا يوحنا الثاني والعشرين John XXII (١٣١٦-١٣٣٤م)، والذي أكد من قبل كليمنت السادس Clement VI (١٣٤٢- ١٣٥٢م) ضد كل من تعدى على أملاك البابوية في إيطاليا ثم تاب واعترف، فضلًا عن أولئك الذين ماتوا نتيجة لجروح تلقوها في قتالهم ضد المأجورين، وكذلك أهالي نابولي الذين يقاومون هجمات الفرق المأجورة. للمزيد راجع:

Urban V, *Lettres secrétes*, nos. 1485, 1509; Theiner, A., *Codex Diplomaticus Dominii temporalls. sedis. recueil de documents pour server à l' histoire de gouvern ement temporel des etats du saint -siege*, 2 Tomes, Rome, 1861, Tome I, nos, 355, 400.

(٩٧) ألبي: مدينة فرنسية، تقع على نهر تارن Tarn ، على بعد سبعة وستين كيلو متر شرق وشمال شرق تولوز. راجع:-

Moore, *The Penguin*, pp.24-25.

(98) Urban V, *Lettres secrétes*, no.1522; De Vic and Vaissete, *Histoire generale*, IX, P.773.

كان يحق للأساقفة المحليين التدخل في إعاقة تحصيل الضرائب المحلية بموجب خطاب البابا أوروبان الخامس. عن الخطاب راجع: Urban V,

Letters secrétes, no.996.

(٩٩) النموذج الصارخ في تلك الفترة هو استعانة شارل الثاني Charles II of Navarre ملك نافارا (١٣٤٩-١٣٨٧م)، بالفرق المأجورة بأن دفع لهم مقابل مساعدته في معركة كوشيرل Cocherel ١٦ مايو ١٣٦٤م، والتي قامت بسبب الخلاف بين مملكتي فرنسا ونافارا على السيطرة على دوقية برجنديا، عنها راجع:-

Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp.449-50.

(100) *Acta Urban V*, no.247, p.240.

(101) Freville,P., (ed.), *Bibliotheque de l'ecole des Chartes*, Tome V, Paris,1843-1844, pp. 241-242.

(١٠٢) في اليوم نفسه الذي أرسل فيه هذا التشريع للملك الفرنسي، أرسل إلى جويدي برونيس Guide Prohins حاكم مونبيليه Montpellier ورؤساء أساقفة روان Rouen وتور Tours وليون وريمس Rhiems وسينس Sens راجع:

Raynald, *ann. eccles*, Tome 26, 1365, nos.3, 4, pp.104-105; Denifle, *La désolation*, Tome 2, p.451.

(103) Urban V, *Letters secrétes*, nos.1747-51, 2995; Theiner, *Codex dipl*, Tome 2, nos.410, 426.

(104) *Acta Urban V*, no. 247, p. 241; Roynald, *ann.eccles*, Tome 26, ann. 1365, nos. 2,3,4, pp.103-105.

(105) Raynald, *ann.eccles*, Tome. 26, ann.1365, nos. 2, pp. 103-104; Bellaguet, *Chronique*, Tome 1, pp. 211.

(106) *Acta Urban V*, no. 247, p. 76, Denifle, *La désolation*, Tome 2, p.451.

(١٠٧) سيتم الحديث عن مشروعه للتخلص من الفرق المأجورة بعد صفحات قليلة.

(١٠٨) بريتاني دوقية فرنسية، فهي Bretagne قديمًا، شبه جزيرة تقع فيما بين القنال الإنجليزى وخليج بسكاي. وقعت تحت سيطرة الرومان في عام ٥٦ ق.م.واستمرت سيطرتهم عليها حتى القرن الخامس الميلادي. وأصبحت دوقية في القرن العاشر الميلادي راجع:-

Moore, *The Penguin* , p.127.

(109) Prou, *Etude*, pp. 46-47.
(110) Paz, *The Role*, p. 337.
(١١١) سيتم الحديث عن هذا المشروع بعد صفحات قليلة.
وضع البابا شروطًا للتصالح مع الفرق المأجورة ١٣٦٦م، بناءً على طلب النادمين والراغبين في الذهاب إلى الحرب الصليبية في غضون عام من حصولهم على الغفران، وجدد هذا الشرط مرة أخرى في عام ١٣٧٢م. راجع:-
Throop, P.A., *Criticism of the Crusade*: *A study of Public Opinion and Crusade Propaganda*, Amsterdam, 1940, pp. 96-100.
(١١٢) يمثل الصراع بين بدور الأول ملك قشتالة وأخيه غير الشرعي هنري دورًا رئيسًا للفرق المأجورة في الحرب الأهلية في أسبانيا في القرن الرابع عشر الميلادي. راجع:- Paz, *The Role*, pp. 333-341.
(١١٣) كان هنري دي تراستمارال قد استعان بفرقة من الجماعات المأجورة في عام ١٣٦٢م في باميرز Pamiers لاجتياح مملكة قشتالة، ولكن عندما دفع لهم تبعثروا. راجع:-
Housley, *Mercenary*, p. 275.
(١١٤) عن الأمير الأسود وتدخله في هذا الصراع: راجع:
Barber Richard, (ed. and trans), *The Life and Campaigns of the Black Prince*, Boydell, 1977, pp. 10-11, 110-129; Green, D., *The Black Prince*, History Press Limited, 2008.
كان بدور الأول صهرًا لإدوارد الثالث ملك إنجلترا ووالد الأمير الأسود الذي رأى في مقترح الحملة أهمية كبيرة لسياسته في جاسكوني. للمزيد. راجع:
Barber, *Life*, p. 10; Russell, P. E.; *The English Intervention in Spain and Portugal in the time of Edward III and Richard II*, Oxford, 1955.
(115) Janin, *Mercenaries*, p. 125.
(116) Housley, *Mercenary*, p. 275.
(١١٧) معركة أوري، هي حلقة في سلسلة المعارك بين إنجلترا وفرنسا في حرب المائة عام، تنسب إلى المكان التي وقعت عليه المعركة خارج ميناء بريتون Breton، والتي انتهت بتفوق إنجليزي. عنها راجع:
Villalon, A. L. J., "Spanish Involvement in the Hundred Years War and the Battle of Najera", In *Hundred Years War: A wider Focus*, ed. A. Villalon and D. Kagay, Boston, 2005, pp. xxx iii, 20, 50.
(118) Housley, *Mercenary*, pp. 275-276.
(119) Urban V, *Lettres secrétes*, no. 1917; Russell, *The English*, pp. 26-35.
(١٢٠) بورجيا: هي قلعة Lazuda تقع على تل يطل على قرية بورجيا في أراجون. راجع:
Fowler, K., "Deux entrepreneurs militaires au XIVe siècle: Bertrand du Guesclin et Sir Hugh Calveley" In *Societé des historiens medievistes de l' enseignement superieur public*, (ed.) Le Combatant au Moyen Age, Nantes, 1991, doc. V, p. 256.
(١٢١) ماجلون قلعة على تل يطل على قرية ماجلون في أراجون، كانت واحدة من قلاع قرية هوشيا Huecha. راجع:
Fowler, *Deux*, doc. V, p. 256
(122) أعطى برتراند دي جوسلين الأجزاء اليسرى من تلك القلاع والقرى إلى قريبة أوليفر دي ميوني Olivier de Mauney Paz, *The Role*, p. 338.
(123) Fowler, *Deux*, doc. I, pp. 254-255.
(١٢٤) لتفاصيل أكثر راجع: Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 775-777.
(125) Urban V, *Lettres secrétes*, nos. 2039-2040.

(126) Urban V, *Lettres secrétes*, no. 2041; Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 486-488.

(١٢٧) عن القطلان راجع:

Setton, K., *Catalan Domination of Athens*, 1311-1388, Cambridge, 1948; Burns, R. I., "The Catalan Company and the European Powers, 1305-1311, ***Speculum*** 29 (1954), pp.751-771 ; Jacoby, D., "La compagnie Catalane: et l'êtat Catalan de Gréce quelques aspects de leur histoire", ***Jornal des Savants*** 2, (1966), pp. 78-103; Pascot, J., *Les Almugavares: mercenaires Catalans du moyen age(1302-1388)*, Brussels, 1971.

(128) Delachenal, *Histoire de Charles V*, Tome 3, p. 281; Prou, *Etude*, pp. 57-58, 62.

(129) Housley, *Mercenary*, p. 276.

(130) Prou, *Etude*, p. 62.

أما عن مونتيبان، فهى مدينة فرنسية، كانت مقاطعة في إقليم الجارون Garonne، تقع في الجزء الجنوبي الغربي على نهر تارن Tarn، على بعد ٤٨ كيلو متر شمال مقاطعة تولوز، بُني بها جسر من الطوب اللبن في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، وهي مدينة تجارية الآن. راجع:- Moore, *The Penguin*, p. 524.

(131) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 425-426, 504-505.

(132) Urban V, *Letters secrétes*, no. 1514.

(١٣٣) في الثامن من أبريل عند ناجيرا اصطف المعسكران، ضم المعسكر الأول جيوش بيدرو الأول ملك قشتالة، تحت قيادة دوق لانكاستر Lancaster، ضمت المقدمة جنود الأمير الأسود والقشتاليين وجيوش النافارين وجيوش ميورقة Majorcan وفى الجناح الأيسر الجيوش الجاسكونية بقيادة يوحنا دي جريللي Jean de Grailly وجيوش كونت دي فواه Foix و في الجناح الأيمن كانت جنود كونت أرمانياك Armagnac ودالبرت D'Albert، وعلى الجانب الأخر كان جيش هنري يتكون من مقدمة ضمت فرقة النظام الرهباني والفرق البيضاء White Companies تحت قيادة براتراند دي جوسلين والمارشال دي أدريهام وبطرس دي فيلّين Peter de Villaines، وفي الجناح الأيسر الجيوش الأندلسية والجناح الأيمن الجيوش الأراجونية تحت قيادة كونت دي دينيا Denia وجنود هيئة فرسان كيليترافا Calatrave. للمزيد راجع:

Pedro Lopez de Ayala (ed.), *Cronicas de Losreyes de Castilla*, *Don Pedro*, *Don Enrique II*, *Don Juant*, *Don Enrique III*, Tome 1, Madrid, 1779, 455-458.

(134) Froisart, *The Chronicle*, Vol 2, pp. 208-211; Pedro Lopez, *Cronicas*, pp. 453-458.

(١٣٥) قدرت المبالغ المتفق عليها نظير استجار فرقة الأمير الأسود بـ: ٢,٧٢٠,٠٠٠ فلورين أي مايساوي ٢٢,٠٠٠ باوند من الذهب تقريبًا. راجع:- Fowle, *Medieval Mercenaries*, p. 196.

(136) Barber, *Life and Campaigns*, pp. 10-11.

(137) Lopez, *Cronicas*, pp. 508-513. -

عن هذه المعاهدة راجع.

(١٣٨) للمزيد عن الحرب الأهلية في تلك الفترة راجع:

Lopez, *Cronicas,* pp. 458-533; Paz, *The Role*, p. 336.

الفرقة البيضاء حملت صليب أبيض كرمز للنقاء والطهارة لنواياهم.راجع:

Paz, *The Role*, p.342,no.(17).

(١٣٩) للمزيد راجع:- Lopez, *Cronicas*, pp. 548-549; Paz, *The Role*, p. 336.

(140) Paz, *The Role*, p. 338.

(141) Alvarez, L.F., *Ribadeo Antiguo: noticiasy docomentos*, Sada, 2001, p. 43.
(142) Paz, *The Role*, p. 336-337.
(١٤٣) ريمس، مدينة فرنسية قديماً Durocortorum ، تبعد حوالي ١٣٢ كيلو متر شرق وشمال شرق باريس. راجع:-
Moore, *The Penguin*, pp. 649-650.
(١٤٤) كان البابا في هذا التاريخ في روما Denifle, *La désolation*, Tome 2, p 506, note (1), pp. 506-507.
(145) Housley, *Mercenary*, p. 265.
(146) Housley, N., *The Italian Crusades the Papal Angevin Alliance and the Crusades against Christian Lay Powers 1254-1343*, Oxford & New York, 1982, p. 77.
(147) *Acta Urbun V*, nos. 251, 261, pp. 217, 99; Denifle, *La désolation*, Tome 2, p. 445.
(148) Theiner, *Codex,* Tome 2, no. 400.
(١٤٩) أورد البابا في خطابه مجموعة من الإجراءات المطلوبة للتأكيد على الدفاعات المحلية ضد تلك الفرق المأجورة. راجع:
Urban V, *Letters secrétes*, no. 1446; Theiner, *Codex,* Tome 2, no. 467.
(١٥٠) راجع خطابات البابا أوروبان الخامس:
Urban V, *Lettres secrétes*, nos. 487-488 See also, Housley, *Mercenary*, pp. 266, 271-272.
(١٥١) البابا أوروبان الرابع، هو جاك بنتيلون Jacques Pantaleon بطريرك بيت المقدس، تم اختياره بابا بعدما فشل الكرادلة الثمانية في اختيار واحد من بينهم - أثناء زيارة عمل له في روما- ولد لأب يعمل إسكافيا عام ١٢٠٠م في مدينة تروي Troyes الفرنسية، درس في باريس، وفي عام ١٢٤٥م أصبح كاهنًا للاؤن Laon، ثم شمَّاسًا لليج Liege، وفي عام ١٢٥٢م أصبح أسقف فيردان Verdun، وفي عام ١٢٥٥م أطلق عليه البابا ألكسندر الرابع Alexander IV (١٢٥٤-١٢٦١م) لقب بطريرك بيت المقدس. عنه راجع:-
Kelly, *The Oxford*, pp. 194-195.
(152) Housley, *Mercenary*, p. 266.
(153) Matheo Villani, *Cronica,* 2 Vols. ed. F. Gherardi Dragomanni, Florence, 1846, Vol. 2, pp. 69-80.
(١٥٤) النموذج الصارخ على ذلك حدث في السابع من يونيو ١٣٦٤م، حينما قام أسقف لومبي Lombez في التحقيق في البدع الكلامية الصادرة عن أعضاء الفرق المأجورة عندما تحدثوا بكلمات شريرة ضد الكنيسة وسلطة البابا، وفي الشهر التالي قام أسقف كراكسونا يوحنا فابري John Fabri والمحقق الدومينيكاني هناك استجواب مشابهة لسبعة أسرى من الفرق المأجورة الذين أنكروا التتابع البابوي. راجع خطابات البابا:
Urban V, *Lettres secrétes*, nos. 995, 1079; See also: Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 382, 438-41.
(155) Housley, *Mercenary*, p. 266.
(156) Erdmann, *The Origin of the Idea of Crusade*, trans. M. Baldwin and W. Goffart, Princeton, 1977, pp. 336-338.
(١٥٧) فوشيه الشارتري، *الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م*، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم، ط١، دار الشرق، القاهرة، ٢٠٠١، صـ٨٥؛ وهناك كتاب صدر في القاهرة عام ٢٠١٨م يضم مجموعة المقالات التحليلية لخطاب البابا أوروبان الثاني جاء تحت عنوان:-
"*خطاب البابا أوروبان الثاني في مجمع كليرمونت بفرنسا ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م بحوث ودراسات*، تحرير/ محمد مؤنس عوض وهنادي السيد محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٨م"

Housley, *Mercenary*, p. 269. ،

(158) Housley, *Mercenary*, p. 270.

(١٥٩) معاهدة كالتابيلوتا Caltabellotta في ٣١ أغسطس ١٣٠٢م، والتي أنهت الحرب الصقلية، بدأت الفرقة المأجورة من القطلانيين والأرجوانيين يبحثون عن عمل، فاستأجروا للخدمة تحت إمرة الإمبراطور البيزنطي أندرونيقوس الثاني باليولوجس Andronicus II palaeologus (١٢٨٢-١٣٢٨م)، وقاتلوا من أجله الأتراك في آسيا الصغرى Asia Minor وعندما قُتل قائد الفرقة روجر دي فلور Roger de Flor في أبريل ١٣٠٥م، بدأت جماعته في أغسطس ١٣٠٧م تأخذ مسلكًا مختلفًا، فسلبوا تراقيا Thrace ومقدونيا Macedonia وتساليا Thessaly، ثم دخلوا في خدمة دوق أثينا والتر الأول Walter I لمدة ستة أشهر، وبعد وفاته دخلوا في صراع مع جوتييه Gautier دوق أثينا (؟؟؟ - ؟؟؟)، واستطاعوا هزيمته وقتله في معركة كيفسوس Cephissus في مارس ١٣٣١م واستولوا على الدوقية. راجع:

Setton, K.M., "The Catalans in Greece 1311-1380" In *A History of the Crusades, The Fourteenth and Fifteenth centuries*, ed. K. M. Setton, Madison, 1975. Vol. 3, pp. 167-172.

(160) Setton, K.M., *The Papacy and the Levant (1204-1571)*, 2 Vols. Vol. 1, *The Thirteenth and Fourteenth Centuries*, Philadelphia, 1976, pp. 446-448; Burns, *The Catalan*, pp. 751-771.

(١٦١) كليمنت السادس، هوالابن الثاني لوليم روجر William Roger، ولد ١٢٩١م، في مقاطعة مايمونت Maumont، اهتم في دراسته بعلم الأديان، حتى حصل على منحة من البابا يوحنا الثاني والعشرين ١٣٢٣م، وبعد اتمام دراسته أصبح رئيساً لدير فيكامب Fe'camp عام ١٣٢٦م، ثم أسقف لأراس Arras عام ١٣٢٨م، ثم رئيساً لأساقفة سنس Sens ومن بعدها رئيساً لأساقفة روان Rouen ١٣٣٠م، فضلا عن هذا وذاك عمل مستشاراً للملك الفرنسي فيليب السادس Philip VI (١٣٢٨-١٣٥٠م)، والبابا يوحنا الثاني والعشرين. راجع:- Kelly, *The Oxford*, pp.219-221.

(١٦٢) يذكر المؤرخ ميشو Michaud أن الملك الفرنسي أُجبر على حمل الصليب من قبل البابا. راجع:-

Michaud, J.F., *The History of Crusades*, trans. by W. Robson, 3 Vols. New York, 1882, Vol. 2, p. 114.

(١٦٣) ممن حملوا الصليب في ذلك اليوم يوحنا كونت آرتوا John de Artois وكونت أيو Eu وكونت دامارتين Dammartin وكونت تان كارفيل Tan Carville والمارشال الفرنسي بوسيكو Boucicault، كما وعد ملك الدنمارك الانضمام إلى الحملة. راجع:

Michaud, *The History of the Crusades*, Vol. 3, p. 114.

(164) Setton, *Papacy and the Levant*, Vol. I, p. 245.

(165) Housley, *Mercenary*, p. 271.

(166) Michaud, *The History of the Crusades*, Vol. 3, p. 114.

(١٦٧) في الوقت نفسه استطاع البابا أوروبان الخامس تسوية خلافاته مع برنابو فيسكونتي Bernabo Visconti في إيطاليا من أجل مشروع تلك الحملة بواسطة فيليب دي مزيير Philip of Méziéres وبطرس توماس Peter Thomas. للمزيد راجع:

Jorga, N., *Philippe de Méziéres 1237-1405 et la Croisade au XIVe siécle*, Paris, 1896, pp.208-229.

(168) Michaud, *The History of the Crusades*, Vol. 3, p. 115.

(169) Urban V, *Lettres secrétes*, nos. 487-488; *Acta Urban V*, no. 245, p. 168.

(170) *Acta Urban V*, no. 248, p. 177; Raynaldi, *ann. eccles.*, 1363, Tome 26, no. 17, p. 83, nos. 22- 23, pp. 85-86.

(١٧١) أطلق عليه المؤرخ Prou قائد أفينيون وحاكم فانيسن Venaissin. راجع: Prou, *Etude*, p. 31.

(172) Urban V, *Lettres secrétes*, no. 596; Prou, *Etude*, pp. 31-32.

(173) *Acta Urban V*, no. 251, p. 216, no. 261, p. 99; Moranville,H. (ed.),*Chronographia Regum Francorum*,Tome 2 (1328-1380), Paris, 1893, pp. 311-316; Prou, *Etude*, pp. 36-37.
(174) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 441-442.
(175) Prou, *Etude*, pp. 37-38.
(176) Smith, J.R., *What were the Crusades*, London, 1992, p. 59.
(177) Smith, *What were the Crusades*, pp. 2-3.
(178) Urban V, *Lettres secrétes*, no. 1822; Raynaldi: *ann. eccles*. Tome 26, no. 1, p. 104; Michaud, *The History of the Crusades*, Vol. II, p. 115.
(179) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 444-445.
(180) Urban V, *Lettres secrétes*, no. 1822; Raynaldi: *ann. eccles*. Tome 26, no, 2, p. 105.
(١٨١) أعد البابا أوروبان الخامس - نهاية مارس ١٣٦٥م - غفرانًا كاملًا للتأبين من الفرق المأجورين. راجع:
Urban V, *Lettres secrétes*, nos. 1762, 1664.
(182) Urban V, *Lettres secrétes*, nos. 1839-42, 1849; Chérest, *L' archipretre*, pp. 309-311.
(183) Urban V, *Lettres secrétes*, nos. 1884-85. 1944; Housley, *Mercenary*, pp. 274-275.
(184) Chérest, *L' archiprétre*, pp. 311-324; Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 480-484; Delachenal, *Histoire de Charles V*, Tome 3, pp. 231-233.
(١٨٥) عن هذا الخطاب راجع:-
Raynaldi, *ann eccles*. T.26, n. 13, p. 127.
(١٨٦) عن حملته راجع: Le Roulx, J.D., *La France en Orient au XIVe siécle, expéditions du Maréchal Boucicaut*, 2 Tomes, Paris, 1886, Tome I, pp. 141-158.
(187) Setton, *Papacy and the Levant*, Vol. 1, pp. 232, 285-307.
(188) Le Roulx, *La France*, Tome 1, p. 145.
(189) Setton *Papacy and the Levant*, Vol. 1, p. 307.
(190) Russell, *English Intervention*, pp. 83-107.
(191) Halecki, O., *Un empereur de Byzance à Rome. Ving tans de travail pour l'union des églises et pour la défense de l'empire d'orient 1355-1375*, Warsaw, 1930, pp. 215-17, 382-83.
(١٩٢) جريجوري الحادي عشر هو ابنا لوليم بيفورت Guillaume de Beaufort، ولد في ١٣٢٩م،في قلعة ميامونت Maumont، بالقرب من ليموج Limogs، وفي سن الحادية عشر فقط كان كاهناً مرتلاً لرودز Rodez وباريس Paris، وفى التاسعة عشر من عمره حصل على لقب كبير الشمامسة من البابا كليمنت السادس، الذى أرسله إلى جامعة بروجيا Perugia حيث تلقى تعليما شاملا في القانون، أهله ليكون مندوب البابا في مهام رسمية فيما بين ١٣٦٧-١٣٧٠م. راجع:-
Kelly, *The Oxford Dictionary*, pp.225-227.
(193) Gregory XI, *Lettres secrétes et curiales interessant les pays autres que la France*, ed. G. Mollat, Paris, 1962-1965, nos. 1852-65.
(194) Gregory XI, *Lettres secrétes*, no. 1898.
(195) Denifle, *La désolation*, Tome 2, p, 479; Housley, *Mercenary*, p. 277
(196) Mollat, *The Popes at Avignon*, pp. 57, 144.
(197) Partner, *The Lands of St. Peter*, p. 353.

(198) Housley, *Mercenary*, p. 278.
(199) *Le lettere dis. Caterina da Siena*, ed. N. Tommaseo, Florence, 1860, Tome 2, p. 364.
(200) Housley, *Mercenary*, p. 278.
(201) De Vic and Vaissete, *Histoire générale*, IX, p. 732; Delachenal, *Charles V*, Tome 3, p. 236.
(٢٠٢) بلغت قيمة الفدية المعادة ٤٠,٠٠٠ موتونز Moutons راجع:-
Delachenal, *Charles V*, Tome 2, pp. 35, 244.
(203) Denifle, *La désolation*, Tome 2, pp. 183-185, 492.
ليس هناك أمثلة للحصول على الغفران في مقابل الفداء
(204) Mollat, *The Popes at Avignon*, pp. 57, 251.
(205) Housley, *Mercenary*, p. 279.
(٢٠٦) راجع خطاب البابا أوربان الخامس في: Urban V, *Lettres secrétes*, no. 487.
(207) Keen, Laws of War, pp. 82-84.
(208) Housley, *Mercenary*, p. 279.
(209) Jorga, *Philippe de Méziéres*, pp. 297-299.
(210) Housley, *Mercenary*, p. 280.

أولا المصادر الأجنبية:-

Acta Urbani PP. V (1362-1370), *E Regestis Vaticanis Aliisque Fontibus collegit Aloysius L. Tautu, E Pontificia Commissione ad Redigendum C.I.C.O. Typis Pontificiae Universitatis Gregorianae*, Rome,1964.

Baluzius, S. & Mollat, G. (eds.), *Vitae paparum Avenionensium*, *Hoc Est Historia pontificum*, *Romanorum qui in Gallia Sederunt Ab Anno Christi MCCCV Usque ad Annum MCCCIV*, 4 Tomes, Paris ,1914.

Barber Richard, (ed. and trans.), *The Life and Campaigns of the Black Prince*, Boydell, 1977.

Bellaguet, M.L., (ed.), *Chronique du Religieux de saint-Denys*, 4 Tomes, Paris, 1840.

Eginhard, *Vie de Charlemagne*, Trad. par L. Halphen, Paris, 1923.

اعتمد الباحث على الترجمة العربية لهذا المصدر تحت عنوان:

اينهارد، *سيرة شارلمان*، ترجمة وتقديم وتعليق د/ عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٩م.

Froissart, *The Chronicle of Froissart*, trans. by Sir John Bourchier, with introd. by. William, P. Ker, 6 Vols., London, 1901.

Fulcher of Charters, *A History of the Expedition to Jerusalem*. Trans. by Rita Ryan, sisters of St, Joseph, ed. With an introduction by Harold's Fink, Konuville, USA. 1969.

واعتمد الباحث على الترجمة العربية لهذا المصدر تحت عنوان:

فوشيه الشارتري، *الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م*، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم، ط١، دار الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

Gregory XI, *Lettres secrétes et curiales interessant les pays autres que la France*, ed. G. Mollat, Paris, 1962-1965.

***Le lettere dis. Caterina da Siena*,** ed. N. Tommaseo, Florence, 1860.

Mansi, J.D., *Sacrorum Conciliorum Nova et Amplissima Collectio*, 53 Tomes, Austria, 1960 – 1963.

Matheo Villani, *Cronica*, 2 Vols. ed. F. Gherardi Dragomanni, Florence, 1846**.**

Michaud, J.F., *The History of Crusades*, trans. by W. Robson, 3 Vols. New York, 1882.

Moranville, H., (ed.), *Chronographia Regum Francorum*, Tome 2 (1328-1380), Paris, 1893.

Pape Urban V, *Letters secrétes et curiales se rapportant a la France*, ed. P. Lecacheux and G.Mollat; Paris, 1902-1955.

Pedro Lopez de Ayala (ed.), *Cronicas de Losreyes de Castilla, Don Pedro*, *Don Enrique II, Don Juant, Don Enrique III*, Tome 1, Madrid, 1779.

Raynaldi, O. et Jac. Laderchii, *Annales Ecclesiastici Denuo et Accurate Excusi*, 27 Tomes, Paris, 1880.
Stubbs, W., *Annals of England: An Epitome of English History*, London, 1876.
Theiner, A., *Codex Diplomaticus Dominii temporalls. sedis. recueil de documents pour server a l'histoire de gouvern ement Temporel des etats du saint -siege*, 2 Tomes, Rome, 1861.

ثانيا المراجع الأجنبية:-

Allmand, Ch.T., *Society at War. The Experience of England and France during the Hundred Years War*, Edinburgh, 1973.
_____, *The Hundered Years War: England and France at War c. 1300 – c. 1450*, Cambridge, 2001.
Alvarez, L.F., *Ribadeo Antiguo: noticiasy docomentos*, Sada, 2001.
Burns, R. I., "The Catalan Company and the European Powers, 1305-1311", ***Speculum*** 29 (1954), pp. 751-771.
Caferro William, *Johan Hawkwood: An English Mercenary in Fourteenth- Century Italy*, Baltimore, 2006.
Chérest, A., *L'archiprêtre, épisodes de la guerre de Cent ans au XIVe siécle*, Paris, 1879.

Christophé, J.B., *Histoire de la papauté pendant le XIV siècle*, 2 Tomes, Paris, 1853.
De Frevill, E., "Des Grandes Compagnies au quatorziéme siécle", ***BEC*** 3, 1842, pp. 258-281.
_____ (ed.), *Bibliotheque de l'école des Chartes*, Tome V, Paris,1843-1844**.**
Delachenal, R., *Histoire de Charles V*, Tome 2 (1355-1364), Paris, 1909.
Denifle, H., La *désolation des eglises, monastéres et hopitaux en France*, 2 Tomes, Paris, 1897-1899.
Devic, C. and J. Vaissete, "Histoire generale de Languedoc", Vol. VII, ed. A. Molinier, Toulouse, 1840.

Diverres, A.H. (ed.), *Froissart: voyage en Béarn,* Manchester University Press, 1953.
Erdmann, C., *The Origin of the Idea of Crusade*, Trans. M. Baldwin and W. Goffart, Princeton, 1977.

Fowler, K., "Deux entrepreneurs militaires au XIVe siècle: Bertrand du Guesclin et Sir Hugh Calveley", In *Societé des historiens medievistes de l' enseignement superieur public*, (ed.) Le Combatant au moyen age, Nantes, 1991.
_____, *Medieval Mercenaries*, Vol. I: *The Great Companies*, Oxford & Blackwell, 2001.
France John, (ed.), *Mercenaries and Paid Men the Mercenary Identity in the Middle Ages*, Leiden: Brill, 2008.
Green, D., *The Black Prince*, History Press Limited, 2008.

Halecki, O., *Un empereur de Byzance à Rome. vingtans de travail pour l'union des églises et pour la défense de l'empire d'orient 1355-1375*, Warsaw, 1930.
Henneman, J.B., *Royal Taxation in Fourteenth century France; The Captivity and Ransom of John II, 1356-1370*, Philadelphia, 1976.
Housley, N., *The Italian Crusades the Papal Angevin Alliance and the Crusades against Christian lay Powers 1254-1343*, Oxford & New York, 1982.
_____, "The Mercenary Companies, The Papcy and the Crusades, 1356-1378", ***Traditio*** 38 (1982), pp. 253-280.
Jacoby, D., "La compagnie Catalane: et l'êtat Catalan de Gréce quelques aspects de leur histoire", ***Journale des Savants*** (2), (1966), pp. 78-103.
Janin, H. & Carlson, U., *Mercenaries in Medieval and Renaissance Europe*, London, 2013.
Jorga, N., *Philippe de Méziéres 1237-1405 et la croisade au XIVe siécle*, Paris, 1896.
Kelly. J. N.O., *The Oxford Dictionary of Popes*, Oxford, 1996.
Keen, M.H., *The Law of War in the Later Middle Ages*, London, 1965.
Le Roulx, J.D., *La France en Orient au XIVe siécle, expéditions du Maréchal Boucicaut,* 2 Tomes, Paris, 1886.
Mallet Michael, "Mercenaries", In Keen, M., *Medieval Warfare: A History*, Oxford University Press, 1999, pp. 209-229.
_____, *Mercenaries and their Masters: Warfare in Renaissance Italy*, Barnsly: Pen & Sword Military, 2009.
Michel, R., "Les defenseurs des Chateaux et des villes fortes dans le Comtat – Venaissin aux IVe siècle", ***BEC*** 76 (1915), pp. 315-330.
Mollat, G., *The Popes at Avignon 1305-1378*, Trans. By Janet Love, New York, 1965.
Moore, W.G., *The Penguin Encyclopedia of places,* New York, 1978.

Muhlberger Steven, "Deeds of Arms: Collection of formal Deeds of Arms of the FourteenthCentury",In:
http://www.nipissingu.ca/department/history/muhlberger/chroniqu/texts/thirty.htm. Accessed 29 March 2012, pp.1-2.
Partner, P., *The Lands of St. Peter. The Papal State in the Middle Ages and the Early Renaissance*, London, 1972.
Pascot, J., *Les Almugavares: mercenaires Catalans du moyen age(1302-1388)*, Brussels, 1971.

Paz, C.A.G., "The Role of Mercenary Troops in Spain in The Fourteenth Century: The Civil War", In *Mercenaries and Paid Men the Mercenary Identity in the Middle Ages*, ed. J. France, Leiden, Brill, 2008.

Prou, M., *Etude sur le relations politiques du pape Urbain V avec les rois de France Jean II et Charles V*, Paris, 1888.

Renouard, Y., *The Avignon Papacy 1305-1405*, Trans. D. Bethell, London, 1970.

Russell, P. E., *The English Intervention in Spain and Portugal in the time of Edward III and Richard II*, Oxford, 1955.

Setton, K.M., *Catalan Domination of Athens,* 1311-1388, Cambridge, 1948.

_____,"The Catalans in Greece 1311-1380" In *A History of the Crusades,The Fourteenth and Fifteenth centuries*, Ed. Setton, K.M., Madison, 1975. Vol. III, pp. 167-172.

_____, *The Papacy and the Levant (1204-1571)*, 2 Vols. Vol. I, *The Thirteenth and Fourteenth Centuries*, Philadelphia, 1976.

Smith, J.R., *What were the Crusades*, London, 1992.

Throop, P.A., Criticism of the Crusade: A study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Amsterdam, 1940.

Villalon, A. L. J., "Spanish Involvement in the Hundred Years War and the Battle of Najera", In *Hundred Years War: A wider Focus*, ed. A. Villalon and D. Kagay, Boston, 2005.

Wright, N., *Knights and Peasants: the Hundred Years War in the French Countryside*, Boydell, 2000.

ثالثا المراجع العربية:-

- نور الدين حاطوم، *تاريخ العصر الوسيط في أوربة*، جزءان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٣،
- محمد مؤنس عوض و هنادي السيد محمود،(تحرير)، *خطاب البابا أوروبان الثاني في مجمع كليرمونت بفرنسا ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م بحوث ودراسات*، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٨م.